أكاديمية الفنون
ACADEMY OF ARTS

الفن المعاصر

مجلة فصلية متخصصة تترجم الجديد فى الفنون المعاصرة والثقافة

CONTEMPORARY ART MAGAZINE- REVUE D'ART CONTEMPORAIN

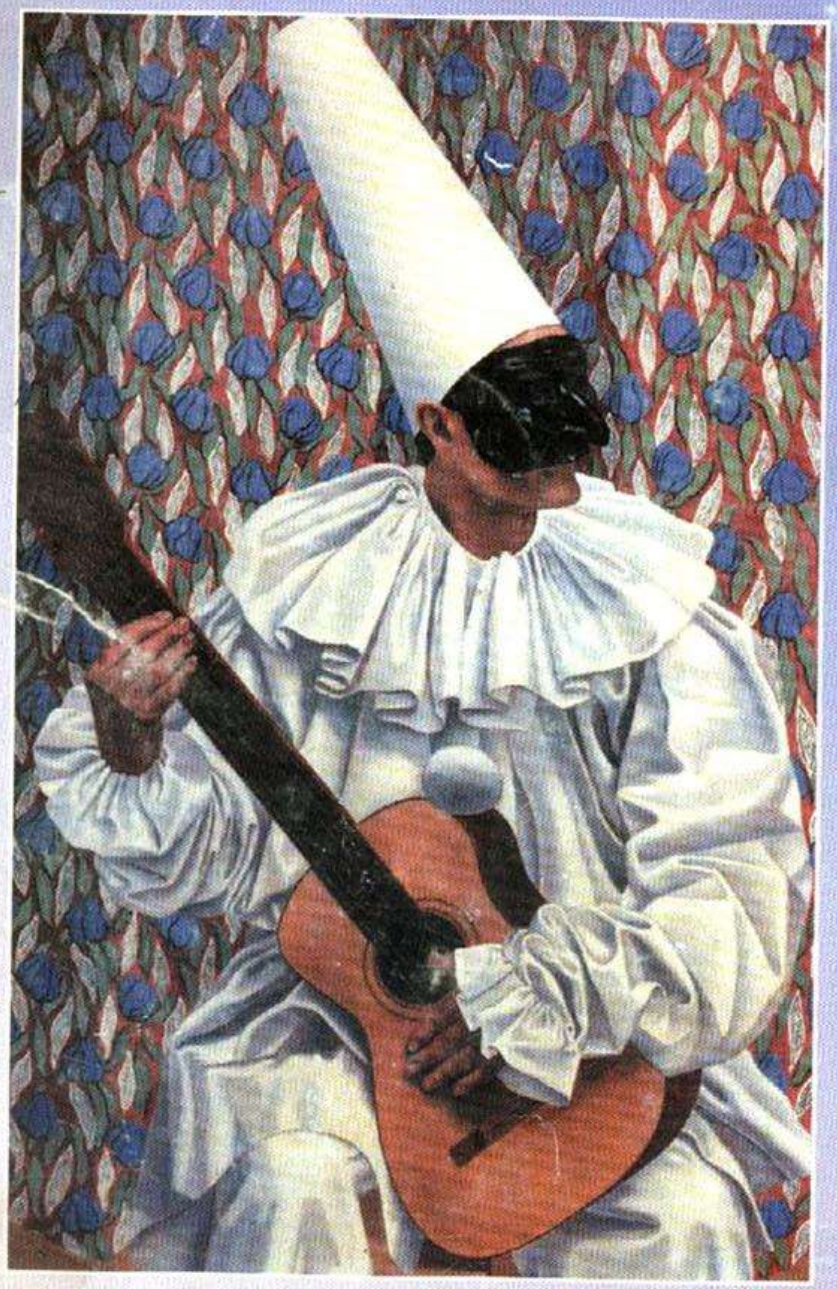

دوجلاس كيلنر
المشقفون والتكنولوچيا الجديدة
دونالد جاردنر
اعادة إختراع الوجه الانسانى فى المسرح
جيكوب وامبرج
إبداع فن تصوير المنظر
جولى فان كامب
الإنسانيات ونقد الرقص
جون ر. كوفاتش
تفكيك الثنائية الموسيقية
جورج بالوندييه
ثراء الثقافات الشعبية
مايك بيكوف
نهايه الفلسفة وازدهار الافلام
الياندرو باريكو
نص مسرحية العازف والبحر

العدد الثانى - خريف ٢٠٠٠

لوحة "بييرو العازف" (١٩٢٤) للفنان چنيو سيڤيريني (١٨٨٣ - ١٩٦٦)

الفن المعاصر

مجلة علمية محكمة

تصدرها أكاديمية الفنون

رئيس التحرير أ . د. فوزى فهمى

مدير التحرير د . وائل غالى

سكرتارية التحرير د . محمد مهران

عادل عبد الحميد

هشام عبد العزيز

مستشارو التحرير

أ . د . سمحة الخولى

أ . سعد أردش

أ . توفيق صالح

أ . د. نبيل راغب

أ . د. رتيبة الحفنى

أ . د. صلاح قنصوة

أ. صفوت كمال

هيئة التحرير

أعضاء هيئة التدريس لأقسام اللغات بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية

المحتويات

* كلمة التحرير ٦

مسرح

* إعادة قراءة مسرح أ. آرتو، ت: أ. د. نبيل راغب، مراجعة: أ. د. محمد عنانى ١١

* إعادة اختراع الوجه الإنسانى، ت: د. سحر فراج، مراجعة: د. سامى صلاح ٣٩

* عن المسرح والحقيقة، ت: أ. د. أمين الرباط، مراجعة: أ. د. عبد الحميد حسين ٧٥

سينما

* دولوز والسينما، ت: د. محمد لطفى نوفل، مراجعة: أ د. يحيى عزمى ١١٩

* نهاية الفلسفة والسينما، ت: د. محمد السيد، مراجعة: أ د. هشام أبو النصر ١٥٣

موسيقى

* التعقيد الموسيقى، ت: أ. د. حمادة إبراهيم، مراجعة: أ د. مارسيل متى ١٩٥

* تفكيك الثنائية فى الموسيقى، ت: محمد الجندى، مراجعة: د. عزة مدين ٢٠٩

رقص

* حركة الكتابة وكلمات الرقص، ت: هبة نبيل، مراجعة أ. كريمة منصور ٢٢٧

* الإنسانيات ونقد الرقص، ت: أ. د. نهاد صليحة، مراجعة أ. د. ماجدة عز ٢٤٧

فنون شعبية

* تقاليد إحدى أسر فرجينيا، ت: د. سمية مظلوم، مراجعة: أ. صفوت كمال ٢٩٥

* ثـراء الثقـافـات الشعبيـة، ت: سها يحيى نجم، مـراجعة أ. د. محمد الجوهرى ٣٢٧

فن تشكيلى

* ابداع فـن تصوير المنظـر، ت: سـالـى محمد إمام، مـراجعة: أحمد فؤاد سليم ٣٤٥

* فـلـسـفـة اللـون، ت: د. فـيـفـى فـريد، مـراجـعـة: أ. د. أحمد إبراهيم ٣٧٣

النظرية النقدية

* مـن البنيـة إلـى البلاغـة، ت: د. خـالد سـالـم، مـراجعـة: د. حسن عطية ٣٨٥

* أشـبـاح الـنـقـد، ت: أ. د. شـاكـر عـبـد الحميد، مراجعة: أ.د. نبيل راغب ٣٩٩

النظرية الثقافية

* المثقفون والتكنولوجيا الجديدة، ت: سـامـح فـكـرى، مراجعة: سامى خشبة ٤٤٧

* الـحـوار الأوروبى، ت: د. حـامـد غانـم، مـراجـعـة: أ. د. باهـر الجـوهـرى ٤٩٣

* السـيـاسـة الحضاريـة، ت: د. سهير الجمل، مراجـعـة: أ. د. حمادة إبراهيم ٥٠٥

الإبداع

* الـعـازف والبـحـر، ت: أمـانـى فـوزى حبشـى، مـراجعـة: أ. سعد أردش ٥٢١

مصطلحات

*ثقافة التعليم، ت:سامح فكرى ت: محمد الجندى، مراجعة: أ. د. صلاح قنصوه ٥٧٣

كلمة التحرير

صدر العدد الأول من "مجلة الفن المعاصر" كمجلة أكاديمية متخصصة تترجم الجديد فى الفنون والثقافة فى صيف عام ٢٠٠٠ ، فإذ بها تنفذ بعد صدورها بوقت وجيز، وسجل النقاد أن صدورها علامة لافتة فى الحركة الفنية والفكرية للتعريف بعلوم وتيارات الفنون الرفيعة عالميًا.

وأسرة المجلة تتقدم بشكرها للترحيب الذى أبداه قطاع عريض من المثقفين والمبدعين والنقاد والمهتمين بشئون الفن في الوسط الثقافى المصرى بصدور المجلة ، كما تذكر لهم بالتقدير العميق تعاونهم مع أسرة المجلة فى أداء رسالتها من خلال التنبيه الرفيع إلى اقتراحات وملاحظات وآراء طيبة تستهدف تطويرها، مثل اقتراح نقد ومحاورة الباحثين العالميين - نحاول وفق صيغة أولية أن نحققه إبتداء من هذا العدد ، ونطمح إلى الإستكمال بصيغة أفضل فى العدد القادم - وأيضًا اقتراح نشر مختلف الإبداعات الأجنبية إلى جانب الدراسات - بدأنا بالفعل فى إصدارنا الثانى تحقيق هذا الإقتراح - ثم طلب الكثيرون تحويلها من مجلة فصلية إلى شهرية حتى يتواصل القارىء مع الثقافة العالمية بشكل أقرب زمنيًا ، وهو ما يحتاج إلى جهود ضخمة ، لانخشاها ولا نجتنبها لأننا نؤمن أن ما يشق مولده يشق موته أيضًا ، ولأننا منذ صدور العدد الأول حرصنا على أن نحلم مع القراء الجادين والدارسين بأن تكون المجلة فى المستقبل

مرجعًا ومصدرًا لمن يسعى وراء التحليل الجديد والبحث الجاد فى الفنون والثقافة وباتصال فورى ودون إنقطاع زمنى يفتقد العزلة وعندئذ يستحيل الحوار، إن المجلة تدرك مسئوليتها وتحاول أن تشارك فى سد فراغ هائل فى البحث العلمى فى الفنون والثقافة فى مصر بترجمة البحوث العالمية والدراسات الأجنبية والمقالات المتعمقة من مختلف أرجاء المعمورة ومن مختلف لغات الأرض، وتدرك مسئوليتها، وتدرك كذلك أنها ليست وحدها ولن تكون وحدها، لكنها ستسعى دائمًا لأن تستنفر كل إمكاناتها لتوسع فضاء الفكر كى لا يُلجم العقل ويبقى حبيسًا ففى ذلك الخطر كل الخطر ، إذ الثقافة التى تتكفىء على نفسها تموت.

التحرير

تعريب التعليم*

لا غرو أن دعوات كثيرة قد انطلقت، وما تزال تنطلق، من أفراد وهيئات ومؤتمرات، تدعو إلى تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوجيا، وأن هنالك أفرادًا وجماعاتٍ يَضيقون ذرعا بهذه الدعوات، فيعارضونها ويطرحون في المعارضة حججا وآراء جديرة بالتأمل والتفكير. وأن دعوات الداعين، ونواهي الناهين تصطبغ أحيانا بصبغة إنشائية خطابية أو عاطفية انفعالية تنأي بها عن رزانة القرار الحكيم المسؤول؛ وهي تكادُ دائما تَارةً فقهيةً لغوية، وهي أحيانا تاريخية او اجتماعية، وكثيرا ما تتعارض أو تتشابك أو تتناقض، حتي لتكاد تضيع الحُجّة، وتحتجب الشجرة بأغصانها، كما يقولون. واني لأَهمُّ أن أقول إني عازم على أن أنحو في عرض القضية منحى موضوعيّاً، لولا أني أجد في من تَعَرَّضوا للقضية مَن يَستَهلّون البحث بزعم كهذا، ثم هم يُغرِقون السامع أو القارئ في متاهاتٍ من مغالطاتٍ ومتناقضات، كفريق يضرب علي غير هدى، أو يدور في دوّامة. وكيلا أضربَ على غير هدى أو أدور في دوّامَة سأجنح إلى النَهْج العلميّ، فأحاول تحليل الموضوع إلى عناصر متميزة بعضها عن بعض، ثم القي نظرة على هذه العناصر متفرِّقة، لأخلُص من ذلك إلى موازنة عامّة، فيها حساب الربح والخسارة، وكشف الحساب، وفيها خطّة واقتراح وبناء.

د. أحمد سعيدان

---

* من مقال : د. أحمد سعيدان، حول تعريب التعليم وتعريب العلم والتكنولوچيا، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد الأول، المجلد الأول، كانون الثانى، ١٩٧٨، ص١١٠

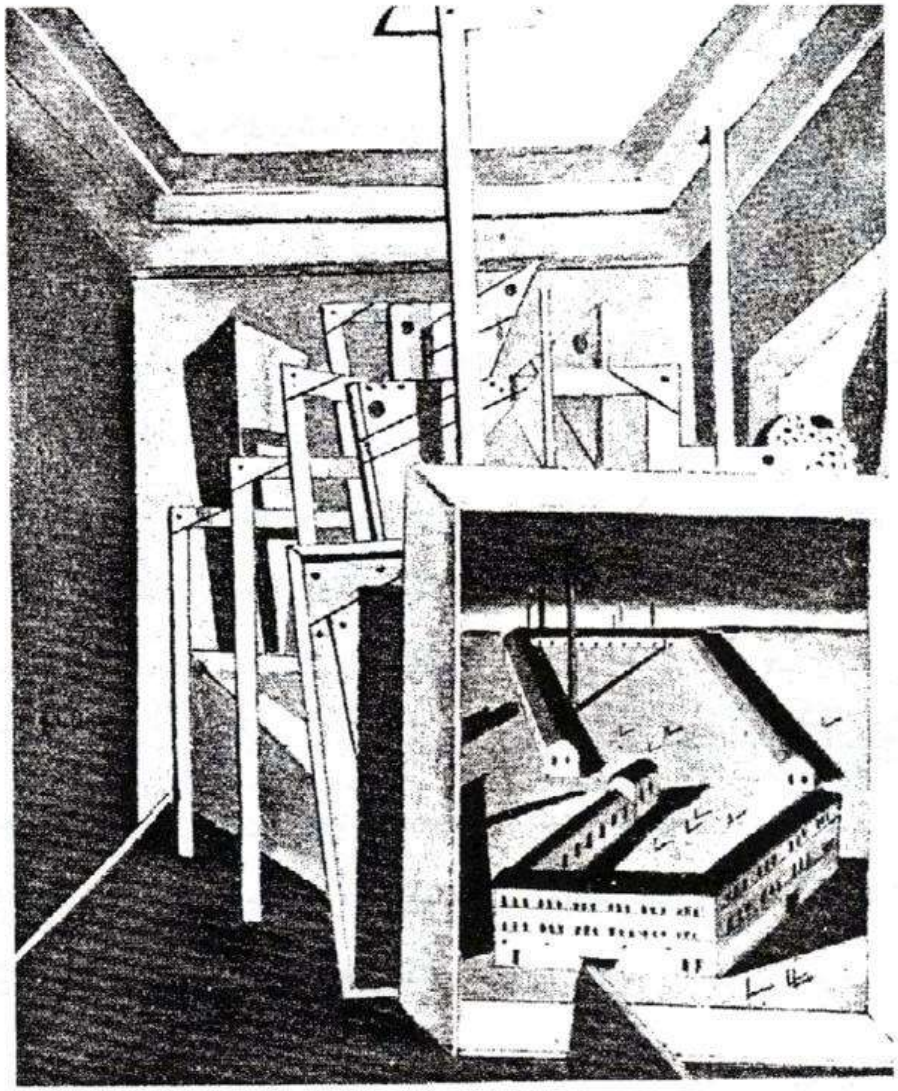

لوحة "داخلى ميتافيزيقي مع مصنع صغير" (١٩١٧) للفنان الإيطالي چيورچيو دى شيريكو

الإبداع

نقدم هنا الترجمة العربية الكاملة لنص المؤلف الإيطالى اليساندرو باريكو Alessandro Baricco العازف والبحر Novecento (١٩٩٨) . وُلد باريكو فى تورينو عام ١٩٥٨، وهو من أشهر الروائيين فى إيطاليا فى الوقت الراهن وله عدة مؤلفات نقدية موسيقية مثل « العبقرية الهاربة»، و « حول المسرح الموسيقى لروسينى» عام ١٩٨٨ وروايات عديدة منها : قلاع الغضب (١٩٩١)، المحيط (١٩٩٣) وأشهرها على الإطلاق رواية " حرير " (١٩٩٦) والتى ترجمت إلى اللغة العربية. وحصل على عديد من الجوائز منها جائزة كامبيللو، وجائزة ميديسيس ايترونچيه وجائزة فياريچو . وكُتب النص لممثل هو «أوجينيو أليجرى » ، ولمخرج هو «جابريلى فاتشيس» وقُدم فى مهرجان استيفل فى شهر يوليه ٢٠٠٠ . وقد حولت رائعة باريكو المسرحية «نوفيتشينتو Novecento * نوفيتشينتو Novecento بالإيطالية معناها رقم ٩٠٠، وعندما تطلق على قرن، فالمقصود هنا هو " القرن العشرون". (المترجم) والتى ترجمناها إلى «العازف والبحر» عام ١٩٩٨ إلى فيلم سينمائى أعد له السيناريو وأخرجه المخرج الإيطالي چوزيبى ورناتورى Giuseppe Tornatore وقام ببطولته الممثل الإنجليزى تيم روث Tim Roth وعرض الفيلم بعنوان «أسطورة عازف البيانو حول المحيط» La Leggendo del Irianisa sull'Oceano. والمؤلف من أكثر المؤلفين شهرة فى إيطاليا، وعمل أيضًا ناقدًا موسيقيًا فى جريدة الجمهورية لاريبوبليكا La Republica الإيطالية ثم معدًا ثقافيًا فى جريدة لاستامبا La Stampa. وقد كان حبه للموسيقD والأدب هو مصدر وحيه الفنى منذ بداية نشاطه فى عالم النقد والرواية .

العازف والبحر *

تأليف : اليساندرو باريكو ترجمة : أمانى فوزى حبشى مراجعة : أ./ سعد اردش

يحدث أحيانًا أنه فى لحظة ما يرفع أحدهم رأسه... ويراها. إنه شئ يصعب فهمه، أريد أن أقول؛ إننا نكون هناك أكثر من ألف، فوق متن السفينة، أغنياء فى رحلة سفر، مهاجرين وأناس غرباء.. ونحن... إلا أنه يوجد دائمًا شخص، شخص واحد فقط هو الذى يراها أولاً، ربما يكون هناك منهمكًا فى تناول الطعام، أو يتجول بكل بساطة على الجسر، وربما يكون هناك محاولاً ضبط سرواله... فيرفع رأسه فجأة، ليلقى نظرة تجاه البحر... ويراها... عندئذ يتسمر هناك حيث يقف، ويبدأ قلبه فى الخفقان بسرعة، ودائما، فى كل مرة، أقسم إنه فى كل مرة، يستدير هذا الشخص نحونا، نحو السفينة، نحونا جميعا ويصرخ (ببطء وبصوت منخفض):

أمريكا، ثم كان يمكث ساكنا وكأنه دخل فى كادر صورة ما، بوجه شخص صنع هو أمريكا، إنه ذلك الشخص الذى يرى أمريكا أولاً،وعادة يوجد هذا الشخص على كل سفينة. ولا يجب أن نفكر أنها كانت أشياء تحدث مصادفة، كلا... ولا هى مسألة متعلقة بقوة الإبصار، بل إنه القدر. لقد كانت هذه اللحظة مطبوعة فى حياة أولئك منذ الأزل، وعندما كانوا أطفالاً، كان يمكنك النظر فى أعينهم، وإذا دققت النظر، كنت ستراها بالفعل - أمريكا -

---

* ترجمت هذه المسرحية عن الأصل الإيطالى NOVECENTO والتى صدرت أول طبعة لها فى أكتوبر عام ١٩٩٧ عن دار نشر فلترينيللى - ميلانو NOVECENTO ALESSANDRO BARICCO FELTRINELLI, MILANO, 1997.

موجودة ومستعدة لأن تنطلق وأن تتزحلق عبر الأعصاب وفى الدماء لتصل إلى المخ ومن هناك إلى لسانهم حتى يطلقوا تلك الصيحة (*صارخا*) أمريكا !!!، كانت أمريكا موجودة بالفعل فى تلك الأعين منذ الطفولة... كانت هناك تنتظر.

هذا ما علمنى إياه دانى بودمان ت. د. ليمون نوفيتشينتو، أعظم عازف بيانو عزف على المحيط ففى أعين الإنسان يمكن أن نرى بالفعل ذلك الذى سيراه، وليس ما قد رآه. هكذا كان يقول : ذلك الذى سيراه.

لقد رأيت بنفسى اكتشافات أمريكا، ستة أعوام على متن تلك السفينة، خمس أو ست رحلات فى كل عام من أوروبا إلى أمريكا والعودة دائما إلى قلب المحيط، عندما كنا ننزل من السفينة كان من الصعب علينا ضبط توازننا. أما هو فقد كان ثابتًا، ولكن أنت، كنت ستستمر فى التأرجح لأنه يسهل النزول من أية سفينة ولكن من الصعب ترك المحيط... عندما صعدت على متنها كان عمرى سبعة عشر عامًا، ولم يكن يهمنى سوى شىء واحد وهو أن أعزف على الترومبيت.

وهكذا عندما علمت بأنهم يبحثون عن أشخاص ليعملوا على السفينة فرچينيان Virginian، وقفت فى الطابور فى الميناء. أنا والترومبيت، وذلك فى شهر يناير ١٩٢٧. قال لى مندوب الفرقة : لقد اخترنا العازفين بالفعل. قلت له : أعلم ذلك، وأخذت أعزف، وقف هو هناك ساكنًا يستمع إلى، انتظر عندما انتهيت من العزف دون أن ينبس ببنت شفة. ثم سألنى : «ماذا عزفت» ؟

«لا أعرف ».

عندئذ لمعت عيناه : «عندما لاتعرف ماهذا، يكون عازف الچاز» ثم فعل شيئًا غريبًا بفمه، ربما كانت ابتسامة، وكانت هناك سنة ذهبية فى منتصف أسنانه تمامًا، وكأنه يعرضها فى فترينة لبيعها.

«إنهم يعشقون هذه الموسيقا، هناك فوق» وكان يقصد بهناك فوق، فوق

السفينة وتلك الابتسامة الغريبة كانت تعنى أنهم قبلونى كنا نعزف ثلاث أو أربع مرات فى اليوم، أول مرة للأغنياء فى الدرجة الممتازة، ثم للدرجة الثانية، ومن حين لآخر كنا نذهب لفقراء المهاجرين ونعزف لهم، ولكن دون أن نرتدى زى الفرقة، هكذا كما يحلو لنا، ومن حين لآخر كانوا يعزفون هم أيضا معنا. كنا نعزف لأن المحيط ضخم جدًا ويثير الرعب، كنا نعزف حتى لا يشعر الركاب بالوقت، وحتى ينسوا أين هم بل من هم. كنا نعزف ليرقصوا، لأنك إذا رقصت تهرب من الموت وتشعر أنك إله. وكنا نعزف الراج تايم لأنها الموسيقا التى يرقص عند سماعها الآلهة، وخاصة إذا كانت آلهة زنجية.

(يخرج الممثل من المشهد، وتنطلق موسيقا ديسكو صاخبة جدًا وغبية، ويعاود الممثل الدخول للمشهد وهو يرتدى ملابس الجاز الأنيقة الذى يرتديها عازف الجاز على السفينة. ومنذ تلك اللحظة سيتصرف وكأن الفرقة موجودة بالفعل فى المشهد).

سيداتى سادتى، لاديز أند

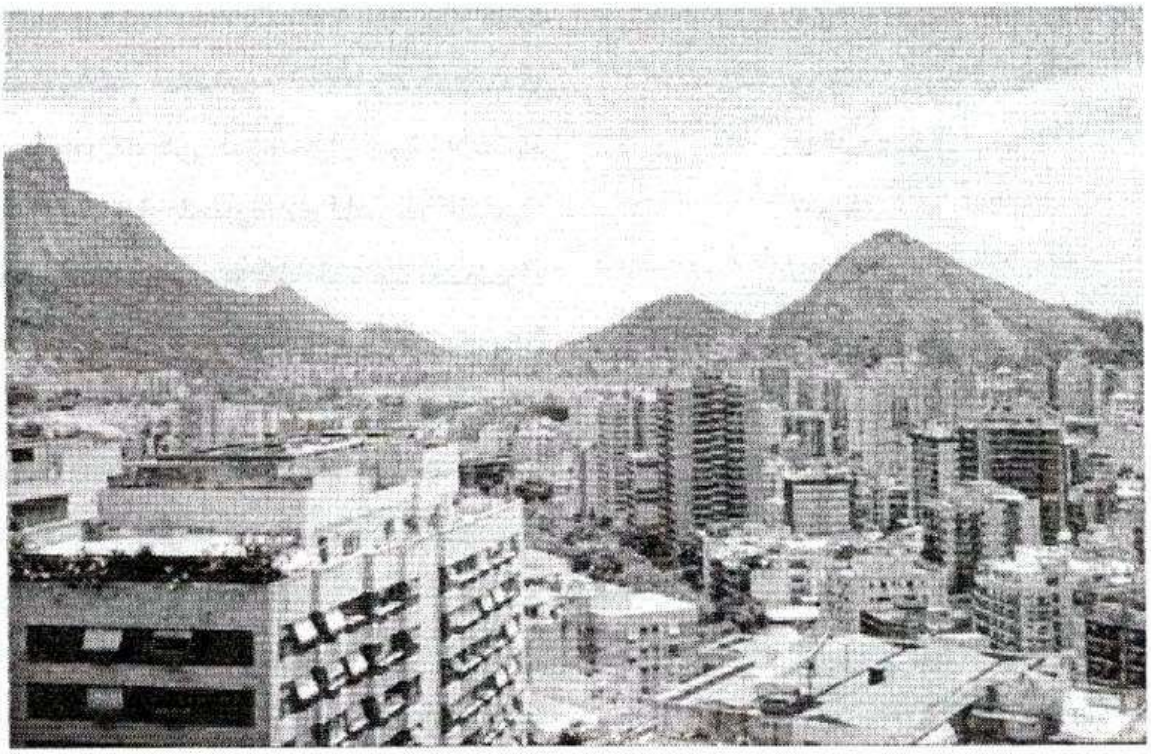

ريو دى چانييرو

جينتلمان، سينيورى أى سينيورى، ميدام آيه موسيو مرحبًا بكم فوق هذه السفينة، فوق تلك المدينة العائمة والتى تشبه التايتانيك فى كل شئ، اهدءوا، امكثوا فى أماكنكم، لقد تحسس هذا السيد جسده لقد رأيته جيدًا، مرحبًا بكم فى المحيط، وبهذه المناسبة ماذا تفعلون هنا ؟ أراهن أن الديانة تطاردك، وأنت تبحث عن الذهب متأخرًا ثلاثين عامًا، أنت! أردت مشاهدة السفينة ولم تدرك أنها تبحر بك،وخرجت أنت من منزلك لدقائق لشراء السجائر، وزوجتك الآن فى مركز الشرطة تقول إنك كنت رجلاً طيبًا، طبيعيًا جدًا، وإنه لم تحدث بينكما مشاجرة واحدة خلال الثلاثين عاما مدة زواجكما...

ماذا تفعلون هنا فى كل الأحوال، على بعد ثلاثمئة ميل من أى عالم وعلى بعد دقيقتين من شعوركم القادم

بالغثيان ؟ معذرة سيدتى، كنت أمزح، اطمئن، إن هذه السفينة تسير على المحيط مثل الكرة على مائدة البلياردو، ثم خلال ستة أيام، وساعتين وسبعة وأربعين دقيقة، ستسمعون من ينادى «نيو يووووووورك ! »

(فرقة موسيقية فى المستوى الأول للمشهد).

لا أعتقد أننى بحاجة لأن أشرح لكم كيف أن هذه السفينة - على كل المستويات - سفينة رائعة وفريدة من نوعها، يقودها الكابتن سميث، المعروف بخوفه من الأماكن المغلقة، وبأنه رجل حكيم جدًا (من المؤكد أنكم لاحظتم أنه يعيش فى قارب نجاة) ويعمل لأجلكم و فى خدمتكم مجموعة فريدة من المحترفين غير عادية، بول سيزينكى، المسئول عن الدفة، كاهن بولندى سابق، رقيق المشاعر، معالج روحى ولكن للأسف فاقد البصر... بيل يونج، عامل اللاسلكى، لاعب شطرنج عظيم، أعسر، ويتلعثم... طبيب السفينة دكتور كلاوسرمينسبيتفجيندوفتاح ويجب ألا تكون لديكم حاجة ملحة لاستدعائه بسرعة...

ولكن، الأهم موسيو باردين... رئيس الطهاة، والقادم مباشرة من باريس حيث عاد على الفور بالتأكيد بعد أن عاين بنفسه الظروف الغريبة التى تشهدها هذه السفينة الخالية من المطابخ، كما لاحظ ذلك بالفعل وببراعة موسيو كاميببرت، كابينة ١٢ والذى اشتكى اليوم لأنه وجد حوض حجرته مليئا بالمايونيز - شئ غريب - عادة نضع اللحوم المقددة فى الأحواض، وذلك بسبب عدم وجود مطابخ، وهو الشئ الذى بسببه تفتقد السفينة طباخًا حقيقيًا، مثل موسيو باردين والذى عاد على الفور إلى باريس الذى أتى منها مباشرة، متوهمًا أنه قد يجد هنا مطابخ، إلا أننا بالبقاء مخلصين للوقائع نعترف بأنه لا يوجد

أى منها وذلك بفضل النسيان المرح لمصمم هذه السفينة المهندس كاميليرى الحاصل على الشهرة العالمية، والذى أرجو أن تصفقوا له بشدة..

(فرقة موسيقية فى المستوى الأول)

صدقونى، لن تجدوا سفنا أخرى مثل هذه السفينة، ربما لو بحثتم لأعوام لوجدتم كابتن يخشى الأماكن المغلقة، وقائد دفة أعمى وعامل لا سلكى يتلعثم، وطبيب لا يمكن نطق اسمه، جميعهم على متن السفينة نفسها التى بلا مطابخ... ربما.. ولكن الشئ الذى لا يمكن حدوثه، ويمكن أن تتأكدوا من ذلك، هو أن تكونوا هناك جالسين فوق المقاعد بعيدين مئات الأمتار عن المياه فى قلب المحيط، وأمام أعينكم المعجزة، وفى آذانكم الروعة، وفى أقدامكم الإيقاع وفى قلوبكم الصوت الذى تقدمه لكم الفرقة الفريدة، الوحيدة، الأبدية

اتلانتيك جاز با ! ! ! ! ! ند ! ! ! ! ! !

(فرقة موسيقية فى المستوى الأول. الممثل يقدم العازفين كل واحد بدوره. ويلى كل اسم قطعة موسيقية فردية)

على الكلارينيت، سام « النائم » واشنطن !

على البانجو : أوسكار ديللا جويرا !

على الترومبيت : تيم تووتى !

على المترددة : جيم جيم «نفس» جالوب !

على الجيتار : صاموييل هو كينز !

وأخيرا على البيانو... دانى بودمان

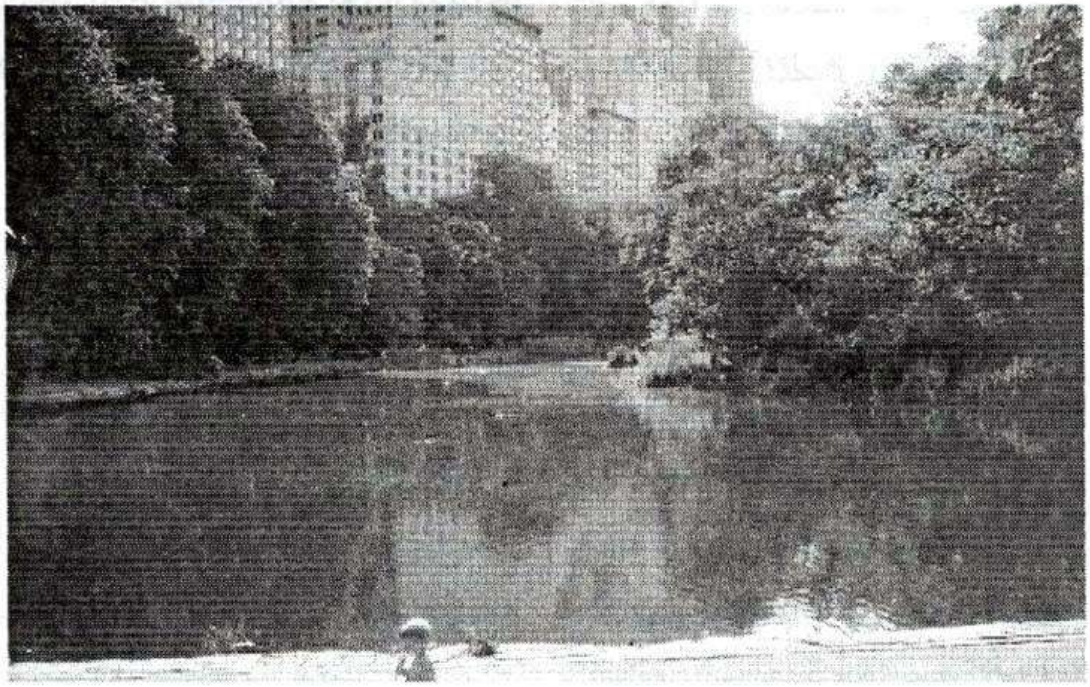

نيويورك

ت. د. ليمون نوفيتشينتو * الأعظم.

(تتوقف الموسيقا فجأة. يترك الممثل نبرة التقديم، وينزع زى الفرقة الموسيقية وهو يتحدث).

ولقد كان حقا هو الأعظم. كنا نعزف الموسيقا أما هو فقد كان شيئا مختلفًا، كان هو يعزف... شئ لم يكن له وجود قبل أن يعزفه هو...، لم يكن له وجود فى أى مكان. وعندما كان يترك البيانو، لايتواجد هذا الشئ... وهو شئ لم يكن موجودًا قط... دانى بودمان ت. د. ليمون نوفيتشينتو المرة الأخيرة التى رأيته فيها كان جالسًا فوق قنبلة. أنا لا أمزح. كان جالسًا فوق شحنة ديناميت ضخمة جدًا. قصة طويلة... كان هو يقول : « لن تشعر بخداع العالم طالما كانت لديك قصة جيدة، وشخص ما يقصها عليه » وكان هو لديه تلك القصة الجيدة، فى الواقع كان هو بنفسه قصته كانت قصة مجنونة ولكنها جميلة... وفى ذلك اليوم وهو جالس فوق كل ذلك

الديناميت *Dinamite* أهدانى إياها لأننى كنت أقرب أصدقائه... بعد ذلك أقترفت فى حياتى الكثير من الحماقات، وأفلست تمامًا، وحتى الترومبيت قمت ببيعها، كل شئ... ولكن.. إلا تلك القصة... تلك القصة لم أفقدها، فهى مازالت هنا شفافة ويصعب تفسيرها كما كانت الموسيقا عندما كان يعزفها البيانو الساحر لدانى بودمان ت. د. ليمون نوفيتشينتو فى قلب المحيط.

(يذهب
الممثل خلف
الكواليس.
وتنطلق
الموسيقا،
لعزف
ختامى،
وعندما
تنتهى من
المقطوعة
الأخيرة
يدخل
الممثل مرة
أخرى).

عثر عليه بحار اسمه دانى بودمان، وجده صباح يوم ما، كان الجميع قد نزلوا فيه لبوسطن، وجده بداخل صندوق كارتون كان عمره وقتها عشرة أيام ليس أكثر، ولم يكن يبكى، كان صامتًا وعيناه مفتوحتان بداخل ذلك الصندوق،كانوا قد تركوه فى صالة الرقص الخاصة بالدرجة الأولى فوق البيانو ولكن لم يكن يبدو عليه أنه أحد مواليد الدرجة الأولى كان المهاجرين عادة هم الذين يقدمون على فعل هذا، الإنجاب فى الخفاء، فى مكان ما على سطح السفينة ثم ترك أطفالهم، لم يكونوا يقدمون على هذا لأنهم أشرار بل لأنهم بؤساء، ذلك البؤس الأسود. وذلك يشبه قليلاً قصة الملابس... فقد كانوا يصعدون إلى السفينة بملابس رثة، مستهلكة، يرتدون فقط مالديهم، ثم بعد ذلك - ونظرا لأن أمريكا هى

دائما أمريكا كنت تراهم فى النهاية يتركون السفينة وهم يرتدون ثيابا جيدة، حتى الرجال يرتدون رباط العنق، والأطفال قمصانًا بيضاء،.. فلقد كانوا يعرفون ماذا يفعلون، ففى تلك الأيام العشرة من مدة الرحلة كانوا يقصون ويحيكون وفى النهاية لم يكن فى الإمكان العثور على ستارة واحدة أو على غطاء سرير فى السفينة، لقد صنعوا بها ملابس جديدة لأمريكا، ملابس لكل العائلة ولم يكن بالطبع من الممكن أن نقول لهم شيئًا...

على كل حال، من حين لآخر كان ينفلت منهم طفل، والذى كان يمثل للمهاجر زائد يجب إطعامه ومتاعب جمة فى مكتب الهجرة فكانوا يتركونهم على السفينة فى مقابل الستائر والملاءات بطريقة أو بأخرى.

ربما صارت الأمور هكذا مع ذلك الطفل، ومن المؤكد أنهم فكروا بهذه الطريقة؛ إذا تركناه على بيانو صالة الرقص فى الدرجة الأولى ربما أخذه أحد الأغنياء وأصبح سعيدًا طيلة حياته وكانت خطة جيدة فلقد نجح نصفها، لم يصبح غنيًا ولكنه أصبح عازف بيانو، أفضل عازف بيانو، وأقسم بذلك.

على كل حال وجده العجوز بودمان هناك، بحث عن شئ يطلعه على حقيقته ولكنه وجد فقط شيئا مكتوبا على الكرتونة ومطبوعا بحبر أزرق : ت. د. ليمون وكان هناك رسم ما لثمرة ليمون، مرسومة باللون الأزرق أيضًا وكان دانى زنجيًا من فيلادفيا، رجلا ضخمًا ورائعًا، أخذ الطفل بين ذراعيه وقال له «أهلا ياليمون» !.

وعندئذ انفجر شئ بداخله، شئ ما يشبه الشعور أنه أصبح أبًا وطيلة حياته كان يؤكد أن حرفى T. D كانا يعنيان بكل وضوح Thanks Danny، أشكرك يادانى كان شيئا غريبًا. ولكنه كان يؤمن بذلك فعلاً وكان مقتنعًا أنهم تركوا هذا الطفل له هو... و T. D

هى Thanks Danny ويوما ما أحضروا له جريدة كان فيها إعلان عن رجل أحمق الملامح وله شوارب رفيعه جدًا، كمحبى اللاتين، وكان مرسوما ليمونة كبيرة وبجانبها مكتوب تانو داماتو Tano Damato ملك الليمون، تانو داماتو ليمون الملك، وربما كان هناك ذكر لجائزة أى شهادة أو شئ ما.. تانو داماتو...

لم تهتز للعجوز بودمان شعرة واحدة، بل نظر إلى الجريدة وسأل «من هذا الأحمق؟" وأخذ الجريدة لأن بجانب الإعلان كانت توجد نتائج السباقات.

لم يكن يلعب أو يراهن فى أى سباق، ولكن كانت تعجبه أسماء الخيول، كان هذا كل ما يهمه، كان مولعًا فعلاً بذلك، كان يقول دائما: أسمع هذا، هذا الذى جرى بالأمس فى سباق كليف لاند، أسمع، لقد أطلقوا عليه اسم "الباحث عن المتاعب"، أتفهم ذلك ؟

ولكن كيف ذلك ؟ وذلك أيضا؟ انظر "الأول أفضل"، ألا يوجد فعلاً مايدفع على الضحك؟! على كل حال كانت تعجبه أسماء الخيول، وكانت هذه هى هوايته، ولم يكن يهمه على الإطلاق من الفائز، كان كل اهتمامه بالأسماء.

بداية أعطى لذلك الطفل اسمه: دانى بودمان. كل مايملكه فى الحياة، ثم أضاف إليه ت.د. ليمون، تمامًا كما هو مكتوب على ذلك الصندوق الكارتون، لأنه كان يقول إنه شىء راق أن يكون هناك حروف مفردة وسط اسم ما، وأكد له ذلك برتى بوم - ميكانيكى انتهى به الأمر فى السجن بفضل محامى اسمه چون ب.ت.ك وندر - قائلاً: كل المحامين لديهم حروف وسط أسمائهم. علق العجوز بودمان وقال: إذا امتهن المحاماة سأقتله، إلا أنه ترك الحرفين فى اسمه، وهكذا أصبح دانى بودمان ت.د.ليمون. وكان اسمًا جميلاً.

أخذ العجوز دانى والآخرون يدْرسون الاسم وهم يرددونه بصوت منخفض، و ذلك فى غرفة الآلات والآلات مغلقة فى ميناء بوسطن، وأخيرًا قال العجوز بودمان «اسم جميل، ولكن ينقصه نهاية عظيمة. قال سام ستول الذى يعمل كجرسون «لنضف الثلاثاء، لقد وجدته يوم الثلاثاء، إذن فلنطلق عليه ثلاثاء. فكر دانى قليلاً، ثم ابتسم وقال : فكرة جيدة ياسام، لقد وجدته فى العام الأول لهذا القرن الملعون أليس كذلك؟ سأطلق عليه اسم نوفيتشينتو.

نوفيتشينتو ؟ نوفيتشينتو، ولكن هذا رقم ! كان رقمًا ولكنه الآن اسم : دانى بودمان ت. د. ليمون نوفيتشينتو.رائع وجميل، إنه اسم عظيم، يا إلهى، إنه بالفعل اسم عظيم. سيشتهر باسم كهذا، وانحنى الجميع أمام الصندوق الكارتون، نظر إليهم دانى بودمان ت.د. ليمون نوفيتشينتو وابتسم؛ أما هم فقد أصابهم الذهول؛ فلم يكن أحد يتوقع أن يتسبب طفل صغير هكذا فى كل هذه المتاعب.

عمل دانى بودمان كبحار بعد ذلك لمدة ثمانية أعوام، وشهرين وأحد عشر يومًا. ثم، أثناء عاصفة قوية فى قلب المحيط أصابته بكرة مجنونة فى وسط ظهره. ومات فى ثلاثة أيام، كان قد كسر من الداخل ولم يكن بالإمكان إصلاح أى شىء. فى ذلك الوقت كان نوفيتشينتو طفلاً صغيرًا، جلس بجوار فراش دانى ولم يتحرك إطلاقًا. كان أمامه رزمة من الجرائد القديمة ولمدة ثلاثة أيام - وبمجهود خرافى - قرأ للعجوز دانى المحتضر كل نتائج السباقات التى كان يجدها. كان يشبك الحروف كما علمه دانى، وبأصبع يضغط على ورقة الجريدة وعينيه التى لا تغفل للحظة. كان يقرأ ببطء، ولكنه كان يقرأ. وهكذا توفى دانى العجوز فى سباق شيكاغو السادس الذى ربحه «ماء صالح للشرب» بفارق طولين بينه وبين «الشوربة الكبيرة» وخمسة أطوال بينه وبين « الخلفية الزرقاء » و الواقع أنه لم ينجح فى الامتناع عن الضحك

عندما استمع إلى تلك الأسماء وهكذا عندما ضحك، انتهى أمره. قاموا بلفه فى علم كبير وأعادوه إلى المحيط. وفوق العلم الكبير، وبورنيش أحمر اللون كتب القبطان : Thanks Danny، شكرًا يادانى.

وهكذا فجأة أصبح نوفيتشينتو يتيمًا للمرة الثانية، كان قد بلغ الثامنة وكان قد قام برحلة الذهاب والعودة بين أوروبا وأمريكا أكثر من خمسين مرة. كان المحيط هو منزله، أما بالنسبة للأرض، فلم يكن قد وضع قدمه عليها، من المؤكد أنه رآها فى الموانىء ولكنه لم ينزل إليها مطلقًا. الواقع أن دانى كان خائفًا أن ينتزعوه منه، بسبب الأوراق الرسمية أو تأشيرة الدخول وأشياء من هذا النوع. وهكذا بقى نوفيتشينتو دائمًا على متن السفينة، وبعد ذلك كانت السفينة تعاود الرحيل، ولنكن أكثر دقة لم يكن لنوفيتشينتو وجود بالنسبة للعالم؛ فلم تكن هناك مدينة، أو أبرشية أو مستشفى أو سجن أو فريق بيسبول قد كتب اسمه فى مكان ما. لم يكن لديه وطن، ولاتاريخ ميلاد ولاحتى عائلة. كان عمره ثمانية أعوام؛ ولكنه رسميًا لم يكن قد ولد على الإطلاق.

كانوا يقولون من حين لآخر لدانى: "لن تستطيع الاستمرار طويلاً فى هذه القصة، فقبل كل شىء إن ماتفعله ضد القانون." ولكن كان دانى لديه إجابة واحدة لايتنازل عنها : "تبًا للقانون" ولم يكن من الممكن مناقشة الكثير مع وجود رد كهذا.

وعندما وصلوا إلى ساوث امتون، فى نهاية الرحلة التى مات فيها دانى، قرر القبطان وضع حد لتلك القصة، دعا سلطات الميناء وأمر نائبه بأن يذهب ليأتى بنوفيتشينتو. ولكن لم يعثروا عليه مطلقًا، بحثوا عنه فى السفينة كلها لمدة يومين، ولاشىء، كان قد اختفى.

ولكن تلك القصة لم تعجب أحدا،

لأنه - هناك على ظهر الفرجينيان - كانوا قد اعتادوا على ذلك الصبى، ولم يكن أحدهم يجرؤ على قول ذلك ولكن.. كان من السهل القفز من السفينة.. وبعد ذلك يفعل البحر مايريد..

وهكذا كان الموت فى قلوبهم عندما رحلوا بعد ذلك باثنين وعشرين يومًا متجهين إلى ريودى چانيرو، ودون أن يعود نوڤيتشينتو ودون أن يعرفوا أى شىء عن أخباره.. وككل مرة اشتعلت النجوم وسمعت سارينات الرحيل وانطلقت نيران الاحتفالات عند رحيل أناس بملابس النوم فى مدخل الصالة، ركاب خرجوا من كبائنهم. ثم كان هناك البحارة، وكان ثلاثة زنوج منهم قد صعدوا من حجرة الآلات وبينهم ترومان عامل اللاسلكى.

وكان الجميع يقفون فى صمت، ينظرون إلى نوڤيتشينتو جالسًا على كرسى البيانو الصغير، وقدماه تتحرك فى الهواء وهو لايكاد يلمس الأرض... وكم كان شيئًا عجيبًا. ياإلهى! فقد كان يعزف.

(يستمع المتفرجون إلى موسيقا بيانو، بسيطة للغاية، وبطيئة ورائعة).

كان يعزف، لاأعرف بالضبط أى نوع من الموسيقا، ولكنها صغيرة و... جميلة لم تكن هناك أية خدعة، لقد كان بالفعل الجالس يعزف بيديه على تلك المفاتيح، والله وحده يعلم كيف. وكان يلزم الاستماع إلى مايعزفه، وكانت تقف امرأة بملابس النوم الوردية، ورأسها ملىء بالمشابك... واحدة من تلك الممتلئات بالنقود، ولنفهم أكثر، كانت زوجة أمريكية لرجل تأمين.. كانت تقف هناك والدموع تتساقط فوق كريم المساء على وجهها، كانت تنظر وتبكى، ولم تتوقف قط. عندما وجدت القبطان بجوارها، وهو يغلى من هول المفاجأة، كان يغلى بمعنى الكلمة، عندما وجدت نفسها

بجانبه، توقفت عن البكاء، تلك السيدة فاحشة الثراء، ثم أشارت إلى البيانو وقالت:

- ما اسمه ؟

- نوفيتشينتو.

- ليست الأغنية ولكن الطفل ؟

-نوفيتشينتو

- مثل الأغنية ؟!

كان ذلك النوع من الأحاديث التى لايمكن لقبطان بحرى أن يتحملها أكثر من أربع أو خمس ثوان. وخاصة عندما اكتشف للتو أن الطفل الذى اعتقده فى عداد الموتى، لم يكن فقط حيًا، ولكن أثناء اختفائه، تعلم أيضًا العزف على البيانو. تجاهل السيدة الغنية وتركها كما هى، بدموعها وبكل ما هى عليه، وعبر بخطوات واثقة الصالون، وهو يرتدى البيجاما وچاكت بدلته البحرية مفتوح. وتوقف فقط عندما وصل إلى البيانو. كان يريد فى تلك اللحظة أن يقول أشياء كثيرة منها على سبيل المثال «أين بحق السماء تعلمت العزف ؟" أو أين كنت مختبئًا بحق السماء؟". ولكنه، مثل كثير من الرجال المعتادين على الحياة فى الزى الرسمى، انتهى به الأمر لأن يفكر، وهو يرتدى الزى أيضًا بذلك الذى تفوه به قائلاً: نوفيتشينتو، إن هذا كله مخالف تمامًا للقانون".

توقف نوفيتشينتو عن العزف. كان صبيًا صغيرًا قليل الكلمات وبقدرة هائلة على التعليم. نظر بعذوبة إلى القبطان وقال : " تبًا للقانون ".

(نسمع أصواتًا عاصفة).

استيقظ البحر / انحرف البحر عن مساره / انفجرت المياه ضد السماء / انفجرت / تلاصقت الغيوم والنجوم بالريح / غاضبة / ستستمر غاضبة إلى متى / لا أحد يعلم/ ستستمر يومًا/ وهل سينتهى ذلك يا أمى/ لم تقولى لى يا أمى / أغنية النوم / إنها تهدىء الماء / إنها تهدىء

وحيد القرن / الغاضب / لقد جن الماء / فى كل مايحيط بنا / زبد وتمزق / إلى أى مدى يمكنك الرؤية / لايوجد سوى السواد / والحوائط السوداء / والدومات / الجميع فى صمت / ينتظرون / أن تتوقف / تغرق / لا أريد هذا يا أمى / أريد المياه الهادئة/ التى تنعكس فيها صورتك / اوقفى/ تلك الحوائط / الغريبة / فى المياه/ التى تتساقط علينا / وتلك الضوضاء

أريد المياه التى تعرفينها أنت

أريد البحر الهادىء

والذى به الضوء

والأسماك الطائرة

تحلق عاليًا.

الرحلة الأولى، العاصفة الأولى، حظ سىء، إننى لم أكن حتى قد فهمت كيف كانت الرحلة إذ وجدت نفسى أواجه أحد أشد العواصف فى تاريخ الشيرچينيان. فى قلب الليل تضايق المحيط وتسبب فى تطاير المائدة وبدا وكأن الأمر لن ينتهى مطلقًا. وشخص يعزف الترومبيت فوق متن السفينة لايستطيع فعل الكثير عند هبوب العاصفة، ربما يستطيع فقط أن يتجنب عزف الترومبيت حتى لايعقد الأمور وأن يلتزم الهدوء فى مقطورته. إلا أننى لم أستطع المقاومة فى داخل الكابينة. يمكن أن تحاول أن تشغل نفسك ولكن لتتأكد أنه سرعان ما تهاجمك تلك العبارة : لقد انتهت حياتك كالفأر.

ولم أكن أريد أن انتهى نهاية فأر ولذلك خرجت من الكابينة وأخذت أسير، ولم أكن أعرف أين أذهب، فلم يكن لى فوق السفينة سوى أربعة أيام وكان بالفعل إنجاز أننى عرفت الطريق المؤدى إلى دورات المياه. إن تلك السفن كالمدن العائمة حقًا. فبالطبع - نظرًا لأننى كنت اتخبط فى كل الجهات وأدخل الممرات مصادفة، وأسير كما تقودنى قدماى - ضللت الطريق،

وشعرت بالبؤس، وفى هذه اللحظة وصل شخص ما، يرتدى ملابس أنيقة داكنة، ويسير بهدوء، ولايبدو عليه أنه ضل الطريق، بل بدا وكأنه لا يشعر حتى بالأمواج وكأنه يتنزه على شاطىء نيس، وكان هو نوفيتشينتو.

كان عمره سبعة وعشرين عامًا فى ذلك الوقت، ولكنه كان يبدو أكبر من ذلك. وكنت قد تعرفت عليه للتو؛ فكنا قد عزفنا سويًا فى تلك الأيام الأربعة مع الفرقة، ليس أكثر.

لم أكن حتى أعرف أين كابينته، من المؤكد أن الآخرين قد قالوا لى عنه بعض الأشياء، فقد كانوا يقولون شيئًا غريبًا، كانوا يقولون إن نوفيتشينتو لم يترك سطح السفينة قط، ولد على ظهر السفينة ومنذ تلك اللحظة مكث فيها - دائمًا - بلغ من العمر سبعة وعشرين عامًا ولم يضع قدمًا على الأرض. بمجرد قولهم هذا كنت أشعر بأنها كذبة كبيرة، وكانوا يقولون أيضًا إنه يعزف موسيقا لا وجود لها. ذلك الذى كنت أعرفه أنا، أنه فى كل مرة، قبل بداية العزف - هناك- فى صالة الرقص كان فريتز هيرمان - شخص أبيض لايفهم شيئًا فى الموسيقا ولكنه كان وسيمًا ولذلك كان يقود الفرقة الموسيقية - كان يقترب منه ويقول له بصوت منخفض : "أرجوك يانوفيتشينتو سنعزف النوت العادية، موافق".

وكان نوفيتشينتو يومىء برأسه موافقًا ثم يعزف بعد ذلك النوت العادية وهو ينظر بثبات إلى الأمام؛ ولاينظر على الإطلاق إلى يديه. الآن أعرف أنه كان هناك، بعيدًا فى جهة أخرى. ولكن عندئذ لم أكن أعرف ذلك؛ كنت أعتقد أنه شخص غريب الأطوار، ليس أكثر.

فى تلك الليلة، تمامًا فى وسط العاصفة، وهو يبدو كسيد فى إجازة.

وجدت نفسى هناك، ضالاً فى أحد الممرات بوجه شاحب، نظر إلى وابتسم وقال لى : تعالى".

والآن، لو أن شخصًا يعزف الترومبيت فى سفينة قابل وهو فى وسط العاصفة شخصًا يقول له « تعالى »؛ فإن عازف الترومبيت هذا ليس أمامه سوى الذهاب، فذهبت خلفه. كان هو يسير... أما أنا، فكان الأمر بالنسبة لى مختلفًا، فلم يكن لدى ذلك التماسك، ولكن على كل حال... وصلنا إلى صالة الرقص، ثم بعد ذلك وبالتأرجح هنا وهناك، أنا بالطبع، أما هو فقد كان وكأنه يسير والرصيف أسفل قدميه، ووصلنا بقرب البيانو ولم يكن هناك أحد، وكان الجو ظلامًا تقريبًا، إلا من بعض الأضواء الخافتة هنا وهناك، أشار نوفيتشينتو بيديه لقواعد البيانو وقال لى : انزع الأقفال كانت السفينة تتراقص، وكان من الصعب أن يقف المرء على قدميه، وكانت محاولة نزع السلاسل بلا معنى.

" ثق فى وانزعها ".

فكرت أنه مجنون، ونزعتها.

وقال لى نوفيتشينتو عندئذ : "والآن تعالى واجلس هنا" لم أفهم ماذا كان يريد لم أفهمه على الإطلاق. أخذت أحاول تثبيت ذلك البيانو الذى بدأ فى التزحلق كصابونة كبيرة سوداء.. كان موقفًا سيئًا للغاية، أقسم بذلك، إذ وجدت نفسى داخل العاصفة، وذلك المجنون جالس فوق كرسى البيانو - صابونة أخرى - ويديه ثابتتان فوق مفاتيح البيانو.

قال لى المجنون وهو يبتسم « إذا لم تصعد الآن، لن تصعد أبدًا."

(يصعد الممثل فوق شىء غريب، شىء وسط بين المرجيحة والترابيز).

"حسنًا، فليذهب كل شىء إلى الجحيم، حسنًا؟ على كل حال ماذا لدى لأفقده، سأصعد، هأنذا قد

جلست، الآن ؟

و" الآن، لا تخشى شيئًا ".

ثم بدأ يعزف.

(وانطلقت الموسيقا من بيانو فقط. نوع من الموسيقا الراقصة، فالس وديع وعذب. وتبدأ الأرجوحة العجيبة فى التأرجح وحمل الممثل ليدور فى المشهد. وتدريجيًا وبينما الممثل يسترسل فى القص تتسع الحركة حتى تلمس الكواليس .

ولا يمكننى الآن أن أجبر أحدا على تصديق ما سأقصه، لأننى لم أكن سأصدقه إذا حكاه لى شخص آخر، ولكن الحقيقة أن البيانو بدأ فى التزحلق على خشب صالة الرقص ونحن خلفه ونوفيتشينتو يعزف ولايبعد نظره عن مفاتيح البيانو، وكان يبدو فى مكان آخر، والبيانو يتبع الأمواج ويروح ويجىء، ويدور حول نفسه وكان يتجه مباشرة للباب الزجاجى،وعندما وصل هناك توقف بالكاد وتزحلق بنعومة للخلف، أقصد، كان يبدو وكأن البحر يهدهده ويهدهدنا معه، وأنا لم أكن أفهم شيئًا، وكان نوفيتشينتو يعزف ولم يتوقف للحظة، وكان واضحًا أنه لايعزف مجرد عزف عادى، فلقد كان يقود ذلك البيانو، هل فهمتم؟، بالمفاتيح، بالنوت الموسيقية - لا أعلم - ولكنه كان يقوده حيث يريد، كان شيئًا غريبًا ولكنه كان ماحدث.

وبينما نحن ندور بين الموائد ونحن نكاد نلمس اللمبات والكراسى، فهمت فى تلك اللحظة ماكنا نفعله، ماكنا نفعله بالفعل، هو أننا كنا نرقص مع المحيط، نحن وهو، راقصون مجانين ورائعون نمسك بعضنا لنرقص رقصة فالس كئيبة فوق الباركيه الذهبى فى الليل، نعم، يالها من لحظة.

(يبدأ فى الدوران على خشبة المسرح الكبيرة فوق أرجوحته، وهو يبدو مسرورًا، وفى الوقت الذى يجن

فيه المحيط، ترقص السفينة، وموسيقا البيانو، هذا النوع من القالس، لها أكثر من مؤثر صوتى تسرع وتتوقف وتدور، وكأنها تقود الرقصة العظيمة.

ثم بعد ذلك الرقص الأكروباتى يخطىء فى مناورة وينتهى به الأمر لأن يسقط خلف الكواليس، تحاول الموسيقا أن توقف الحركة ولكن فات الأوان. لم يكن لدى الممثل سوى أن يصرخ).

آه، ياإلهى !!!

(ويخرج من أحد الكواليس الجانبية ويصطدم بشىء ما. نستمع لضوضاء شديدة وكأن الأمر انتهى بتحطيم زجاج، مائدة بار أو صالون، شىء ما. فوضى شديدة. لحظة سكون ثم صمت. ثم يدخل الممثل من الجانب نفسه الذى خرج منه ببطء).

قال نوفيتشينتو إنه يجب عليه أن يجيد تلك الخدعة. قلت له إنه فى الواقع كان علينا فقط أن نتحكم فى الفرامل. قال القبطان بعد أن انتهت العاصفة (منفعلاً وصارخًا):-

" سحقًا للشيطان، والآن سينتهى بكما الأمر فى غرفة الآلات وستمكثان هناك، وإلا سأقتلكما بيدىّ، وليكن واضحًا لكما أن عليكما دفع ثمن كل شىء حتى آخر مليم، يجب أن تعملا كل حياتكما، وهى حقيقة، كحقيقة أن تلك السفينة تدعى الڤيرچينيان وإنكما أكبر أحمقين تواجدا على ظهر المحيط!»

وفى تلك الليلة، فى غرفة الآلات أصبحنا صديقين؛ ونوفيتشينتو وأنا، صديقان حميمان إلى الأبد. قضينا الوقت كله فى حساب تكلفة ما حطمناه بالدولار، وكلما ارتفع المبلغ أكثر ضحكنا أكثر. وعندما أفكر فى ذلك، يبدو لى أنه كان ذلك الشىء الذى يطلق عليه لقب سعادة، نعم لقد كنا سعداء، أو شىء من هذا القبيل.

وفى تلك الليلة سألته إذا كانت تلك القصة حقيقية، قصته هو والسفينة، إذا كان ولد عليها ومايلى ذلك... وإذا كان حقيقة لم ينزل قط من عليها. وأجابنى هو بـ"نعم"

"ولكن هل هذا حقيقى حقًا ؟"

قال هو بكل جدية " حقيقى حقًا ".

وأنا، لا أدرى، ولكن فى تلك اللحظة شعرت بشىء ما فى داخلى- للحظة، ودون أن أرغب فيه، ولا أعلم لماذا - كانت رجفة؛ وكانت رجفة خوف. أجل خوف.

فى إحدى المرات سألت نوفيتشينتو فيما كان يفكر أثناء العزف، وإلى أى شىء كان ينظر بثبات أمامه، وبالتالى أين كانت تنتهى به أفكاره، بينما تنطلق يداه ذهابًا وإيابًا على مفاتيح البيانو، فقال لى اليوم ذهبت إلى بلدة غاية فى الجمال، نساؤها شعورهن معطرة، وكانت الأضواء تلمع فى كل مكان والمدينة مليئة بالنمور."

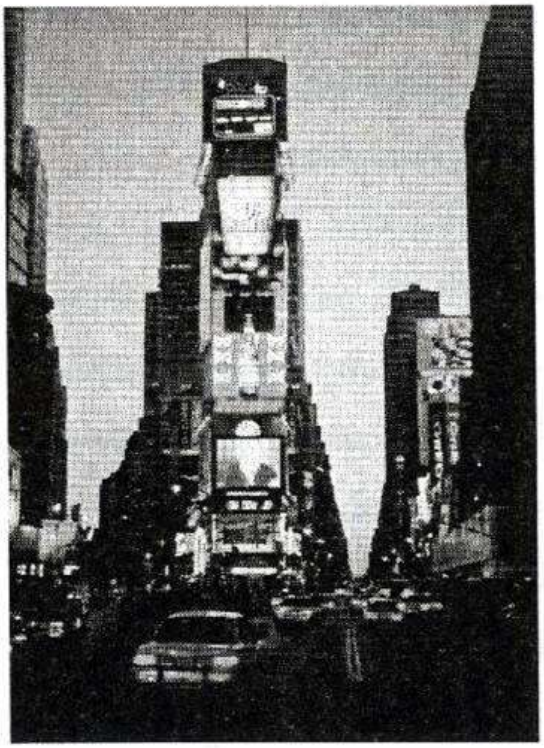

نيويورك

كان يسافر فى كل مرة كان يذهب لمكان مختلف، فى قلب لندن، على قطار فى وسط الريف، فوق جبل عال جدًا والثلوج تصل إلى وسطه أو فى أكبر كنائس العالم ليعد عواميدها ولينظر إلى تماثيل المسيح. كان يسافر. كان من الصعب إدراك مايعرفه هو عن الكنائس أو الجليد أو النمور... أقصد، إنه لم ينزل مطلقًا من فوق السفينة، مطلقًا، ولم تكن هذه كذبة، بل كان ذلك حقيقة، لم ينزل مطلقًا، إلا إنه كان كمن رأى هذه الأشياء، كل هذه الأشياء.

كان نوفيتشينتو أحد هؤلاء الذين إذا قلت لهم " فى إحدى المرات كنت فى باريس". سيسألك إذا كنت قد رأيت حديقة معينة، وإذا كنت أكلت فى ذلك المكان، وكان يعرف كل شىء، كان سيقول لك "إن مايعجبنى هناك هو انتظار الغروب وأنت تسير ذهابًا وإيابًا على البون نوف، وعندما كانت تمر العبارات، كنت أتوقف لأنظر إليها من أعلى، وأحيى بيدى من عليها."

" نوفيتشينتو، هل سبق لك الذهاب إلى باريس؟"

" لا ! "

" إذن..... "

" أعنى... أجل ".

" أجل ماذا ؟"

" باريس ".

كان يمكنك الاعتقاد أنه مجنون، ولكن لم يكن هذا سهلاً، عندما يحكى لك أحد بدقة متناهية عن رائحة برتهام ستريت فى الصيف عندما ينتهى هطول الأمطار، ولكنك يمكن أن تعتقد أنه مجنون لسبب أحمق واحد، إنه لم يذهب قط إلى برتهام ستريت.

وأحيانًا كان يرى هو ذلك الانطباع فى أعين وكلمات البعض.كل بطريقته؛ ولكن هذا ماكان يحدث بالفعل.

فهو لم ير العالم على الإطلاق، ولكن فى السبعة والعشرين عامًا التى عاشها كان العالم يمر على هذه السفينة؛ ولمدة سبعة وعشرين عامًا قضاها على السفينة كان يتجسس على العالم؛ وكان يسرق روحه.

وفى هذا كان عبقريًا،مما لاشك فيه، كان يعرف كيف يستمع وكان يعرف القراءة، ليست قراءة الكتب، هذا سهل للجميع، ولكنه كان يعرف فن قراءة الأشخاص. والعلامات التى يحملها الناس فوق ظهورهم. من أماكن، وضوضاء وروائح خاصة بأرضهم وبتاريخهم... كل هذا مكتوب عليهم. كان هو يقرأ ذلك باهتمام متناه، كان يضع كل هذا فى كتالوج، كان يضع له نظامًا، كان يرتب كل ذلك... وفى كل يوم كان يضيف قطعة صغيرة إلى تلك الخريطة الضخمة التى كان يرسمها فى رأسه، كانت كبيرة جدًا خريطة العالم كله، العالم بأكمله، من طرف إلى آخر، مدن متسعة جدًا، وزوايا البارات. والأنهار الطويلة والمستنقعات، الطائرات والأسود، إنها خريطة رائعة. كان يسافر بعيدًا فى حين كانت أصابعه تنزلق على مفاتيح البيانو لميريت على منحنيات موسيقا الراجتايم.

(تنطلق موسيقا راجتايم حزينة).

تطلب الأمر أعوامًا، إلا إنه فى النهاية فى أحد الأيام استجمعت شجاعتى وسألته: نوفيتشينتو، لماذا - بحق السماء - لاتنزل ولو لمرة، فقط مرة واحدة، لماذا لاتذهب لترى العالم بعينيك أنت، عينيك أنت فقط. لماذا تبقى دائمًا فوق تلك المدينة العائمة، يمكنك أن تقف بنفسك فوق البون نوف لتنظر إلى العوامات وكل الأشياء الأخرى، يمكنك أن تفعل ماتريد، إنك تعرف البيانو بمهارة فائقة، سيجن

الجميع بك، وستربح أموالاً كثيرة، ويمكنك أن تختار لنفسك أجمل منزل فى الوجود، ويمكن أن تبنيه على شكل سفينة، من سيمنعك؟، ولكنك ستضعها حيث تريد ربما فى وسط النمور أو حتى فى برتهام ستريت.. ياإلهى.. لن يمكنك الاستمرار حياتك كلها ذهابًا وإيابًا مثل أحمق.. إنك لست أحمقًا، إنك إنسان عظيم، والعالم هناك، لا يوجد سوى سلم غبى يمكنك أن تنزله، إنه ليس سوى بضع درجات وبعدها يوجد كل شىء.. كل شىء.. لماذا لا تنهى هذا الموقف وتنزل من هنا، على الأقل مرة واحدة... مرة واحدة فقط.

نوفيتشينتو لماذا لا تنزل ؟!

لماذا ؟! لماذا؟!

كان الوقت صيف، كان صيف عام ١٩٣١، وعلى الفرچينيان صعد چيلى رول مورتون، وهو يرتدى ملابس بيضاء، حتى قبعته كانت بيضاء، ويردى خاتمًا من الماس فى إصبعه.

كان أحد الذين حين يقدمون حفلاً موسيقيًا يكتبون فوق الإعلانات : الليلة تستمعون إلى جيلى رول مورتون، مخترع الچاز. ولم يكن يكتبها هكذا كمجرد عبارة عابرة، ولكنه كان مقتنعًا بذلك بأنه مخترع الچاز. كان يعزف البيانو وهو يجلس بعيدًا عن مقعده، وبيدين كالفراشتين غاية فى الخفة. بدأ عمله فى الحانات فى نيوأورلينز، وتعلم هناك أن يلمس المفاتيح وأن يربت على النوت الموسيقية؛ كانت يداه تلامسان الحب فوق البيانو ولم تكن ترغب فى الضوضاء. كانت تريد موسيقا تتزحلق خلف الخيام وأسفل الأسرة، دون أى إزعاج. كان يصنع هذه الموسيقا، وفى ذلك كان حقًا الأفضل.

شرق ليفربول

فى أحد الأيام قال له أحدهم، من مكان ما، عن نوفيتشينتو : ويبدو أنهم قالوا له شيئًا من نوع : إنه فعلاً الأعظم، أو إنه أعظم عازف بيانو فى العالم، ويمكن أن يبدو ذلك غريبًا، ولكنه كان شيئًا يمكن حدوثه، بالرغم من أن نوفيتشينتو لم يعزف قط بعيدًا عن الشيرچينيان إلا أنه كان بطريقته، فى ذلك الوقت مشهورًا كالأسطورة الصغيرة. فقد كان أولئك الذين ينزلون من على السفينة يحكون عن الموسيقا العجيبة وعن عازف البيانو ذى الأيدى الأربعة والنوت الموسيقية الكثيرة التى يعزفها.

وانتشرت القصص العجيبة، بعضها صحيح أحيانًا، مثل تلك القصة المتعلقة بالسيناتور الأمريكى ويلسون الذى قضى رحلته كلها فى الدرجة الثالثة لأن نوفيتشينتو كان هناك يعزف موسيقاه الخاصة غير العادية وليس موسيقا النوت العادية. كان لديه بيانو هناك فى أسفل، وكان يذهب إلى هناك بعد الظهيرة أو فى وقت متأخر ليلاً. فى البداية كان يستمع، كان يريد

أن يغنى له الركاب الأغانى التى يعرفونها، فمن حين لآخر كان بعضهم يخرج جيتاره أو الهارمونيكا أو شىء ما ثم يبدأ فى عزف أنواع من الموسيقا غير معروفة المصدر.. وكان نوفيتشينتو يستمع. ثم كان يبدأ فى ملامسة المفاتيح أثناء غنائهم أو عزفهم، كان يلمس مفاتيح البيانو فيتحول ما يفعله بالتدريج إلى عزف حقيقى بالفعل،كانت تخرج من البيانو نغمات -عمودية وسوداء - وكانت نغمات من العالم الآخر. كان هناك بالداخل كل شىء؛ جميعها مرة واحدة، كل موسيقا الأرض، كان شيئًا يثير الدهشة. وهكذا عندما استمع السيناتور ويلسن إلى ذلك الشىء بقى مندهشًا، وبجانب قصة الدرجة الثالثة ووجوده هو الشخص الأنيق وسط العفونة، لأنها كانت عفونة بالفعل، بجانب تلك القصة، اضطروا أن يخرجوه من السفينة بالقوة عندما وصلت، لأنه كان يرغب فى البقاء هناك ليستمع إلى نوفيتشينتو كل الأعوام المتبقية له من عمره. هذا حقيقى، فقد كتبت الجرائد ذلك، ولكنه كان شيئًا حقيقيًا، وكانت الأمور تسير غالبًا بهذه الطريقة.

الخلاصة، شخص ما ذهب إلى چيلى رول مارتون وقال له : فوق تلك السفينة يوجد شخص يفعل مايريده بالبيانو. وعندما يرغب يعزف أيضًا الچاز، ولكن عندما لاتكون لديه الرغبة يعزف شيئًا مثل عشرة چاز موضوعة معًا. وكان چيلى رول مورتون طبعه صعب، وكان الجميع يعرفون ذلك، كان يقول : "كيف يمكن لشخص ليست لديه الشجاعة لكى ينزل من على سفينة غبية أن يعزف عزفًا جيدًا ؟" ثم انطلق مخترع الچاز فى الضحك كمجنون. وكان يمكن للأمر أن ينتهى عند هذا الحد، إلا أن أحدهم قال فى هذه اللحظة:" حسنًا تفعل بأن تضحك هكذا، لأنه لو قرر ذلك الشخص أن ينزل من السفينة ستعود أنت للعزف فى الحانات، نعم بالفعل، فى الحانات." توقف چيلى رول عن

الضحك، وأخرج من جيبه مسدسًا صغيرًا قاعدته من الصدف، وصوبه تجاه رأس الشخص الذى تكلم ولم يطلق الرصاص ولكنه قال : "أين هذه السفينة اللعينة؟"

وكان مايدور برأسه هو القيام بمبارزة. وكان شيئًا معتادًا فى هذا الوقت، كان التحدى بضربات من القطع الموسيقية الناجحة وفى النهاية كان أحدهما يفوز، أشياء تحدث بين عازفى الموسيقا، دون أى سفك للدماء، ولكن نوعًا من الحقد، الحقد الحقيقى المخبأ. وكانت المبارزة تتلخص فى النوت الموسيقية والمشروبات الكحولية، وكان يمكن أن تستمر ليلة بأكملها. وكان هذا مايدور فى ذهن چيلى رول لإنهاء هذا الوضع مع قصة عازف البيانو الذى يعزف فوق المحيط، ولإنهاء كل تلك الهراءات ولوضع حد لهذه القصة. وكانت المشكلة أن نوفيتشينتو - فى الواقع - لم يعزف مطلقًا فى الموانىء، ولم يرغب فى العزف هناك، فقد كانت الموانىء بالنسبة له، هى الأرض وهذا لم يكن يناسبه، فلقد كان يعزف حيث يريد، وحيث يريد كان فى وسط البحر عندما تكون الأرض مجرد أضواء بعيدة أو مجرد ذكرى أو حتى مجرد أمل. كان هذا هو وضعه. سب چيلى رول ولعن ألف مرة ثم دفع من جيبه الخاص تذكرة الذهاب والعودة لأوروبا وصعد إلى الفرچينيان، وهو الشخص الذى لم يضع قط قدمه على سفينة إذا لم تكن تتنزه ذهابًا وإيابًا فى المسيسيبى. قال- وهو يلعن فى وسط كلماته - للصحفيين الذين ذهبوا لوداعه على رصيف ١٤ لميناء بوسطن " إنه أغبى شىء فعلته فى حياتى."

ثم أغلق على نفسه كابينته وانتظر حتى أصبحت الأرض أضواء بعيدة وذكرى وأمل.

ولم يكن نوفيتشينتو مهتمًا كثيرًا بالأمر، بل لم يكن يفهم الأمر جيدًا. مبارزة؟ ولماذا ؟ إلا أنه كان يشعر بالفضول. كان يريد أن يستمع لعزف مخترع الچاز. ولم يكن يقول هذا على

سبيل المزاح، بل كان يؤمن بذلك، إنه هو بالفعل مخترع الچاز، وأعتقد إنه كان بالفعل ينتظر أن يتعلم منه شيئًا، شيئًا جديدًا، كان هو هكذا، يشبه قليلاً دانى العجوز الذى لم يكن لديه الشعور بالمنافسة؛ ولم يكن يهمه على الإطلاق معرفة الفائز، ولكن كان كل مايتبقى يدهشه. كل مايتبقى من ذلك.

وفى الساعة التاسعة وسبع وثلاثين دقيقة من اليوم الثانى للإبحار على الفرچينيان التى تبحر بسرعة ٢٠ عقدة على المسار إلى أوروبا ظهر چيلى رول مارتون فى صالة رقص الدرجة الأولى وهو غاية فى الأناقة ويرتدى اللون الأسود. كان الجميع يعرفون جيدًا مايجب عليهم فعله. توقف الراقصون، ووضعنا نحن الفرقة الموسيقية آلاتنا جانبًا، وسكب البارمان الويسكى وصمت الجميع، تناول چيلى رول الوسكى واقترب من البيانو ونظر إلى عينى نوفيتشينتو. لم يقل شيئًا ولكن كان كمن يقول له « قم من هنا».

قام نوفيتشينتو.

«أنت هو الذى اخترع الچاز، حقًا؟»

« بالفعل، وأنت ذلك الذى يعزف فقط إذا كان يجلس فوق المحيط، أليس كذلك؟"

"فعلاً ".

وهكذا قدم كل منهما نفسه للآخر.

أشعل چيلى رول سيجارة ووضعها بتوازن على حافة البيانو، ثم جلس وبدأ فى عزف الراجتايم، ولكن كان يبدو شيئًا لم يُسمع من قبل. لم يكن يعزف بل يتزحلق، كان مثل رداء داخلى من الحرير يتزحلق على جسد سيدة أثناء رقصها. كان يوجد بتلك الموسيقا كل حانات أمريكا، ولكن تلك الحانات رفيعة المستوى، حيث حارسة الملابس هى أيضًا جميلة. وأنهى چيلى رول عزفه بحياكة نغمات موسيقية خفية ترتفع إلى أعلى فى نهاية مفاتيح البيانو وكأنها سقوط مجموعة لآلىء على أرضية من الرخام. وكانت السيجارة دائمًا فى مكانها، على حافة البيانو، انتهى نصفها ولكن كان الرماد كله ثابتًا فيها، حتى يمكنك القول إنه

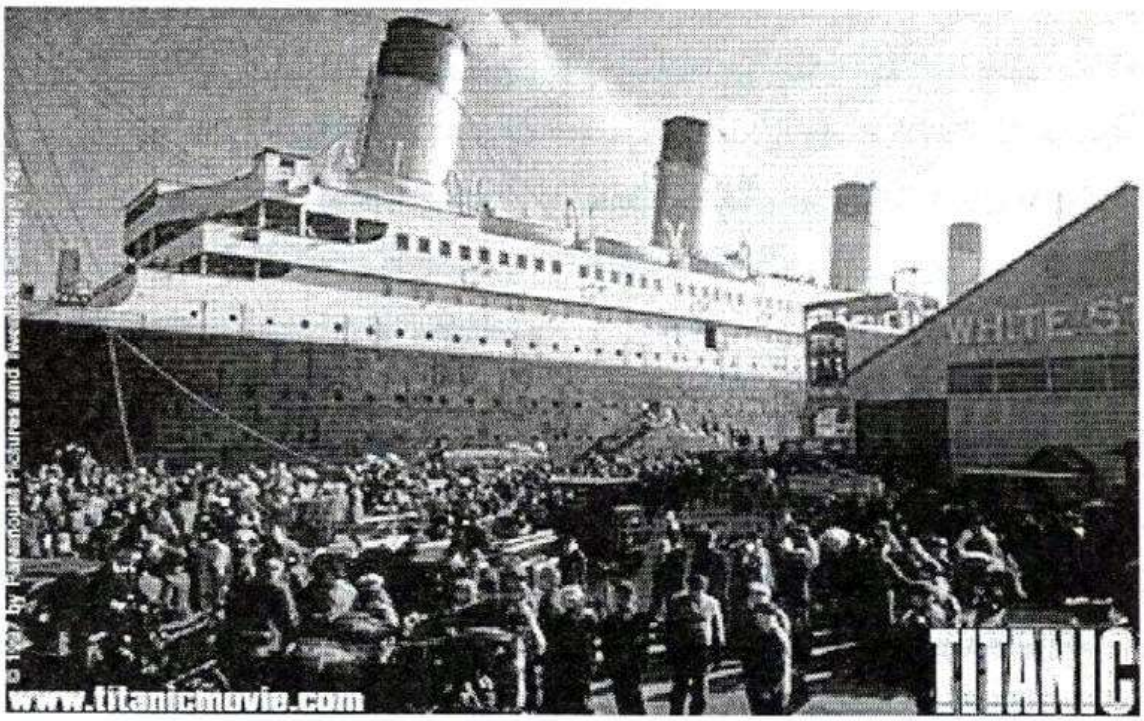

تايتانيك

لم يرد السقوط حتى لايتسبب فى أية ضوضاء. أخذ جيلى رول السيجارة بين أصابعه، التى كما قلت من قبل، كانت يداه كالفراشتين، أخذ السيجارة وكان الرماد مازال عالقًا فيها، وكأنه لم يرد السقوط، وربما كانت هناك خدعة ما، لا أعرف، ولكن المؤكد أنه لم يسقط.

نهض مخترع الچاز واقترب من نوفيتشينتو ووضع السيجارة أسفل أنفه، هى وكل الرماد الموضوع فيها وقال :

" دورك أيها البحار ".

ابتسم نوفيتشينتو، فقد كان يتسلى بالفعل. جلس على البيانو وقام بأغبى شىء يمكن أن يفعله، فقد عزف أغنية "عودى إلى الخلف يابطة "، أغنية غباء غير متناه، أغنية أطفال استمع إليها منذ أعوام من أحد المهاجرين،ومنذ تلك اللحظة لم ينسها، فلقد كانت تعجبه بالفعل، لا أعرف ماذا كان يجد فيها، ولكنه كان يجدها مؤثرة بطريقة

جنونية. ومن المؤكد أنه لايمكن وصفها بالعزف الماهر. فإذا أردت لتمكنت من عزفها أنا أيضًا.

وعزفها وهو يلعب قليلاً على النغمات الغليظة مضاعفًا لشيء ما، ومضيفًا لاثنين أو ثلاث تنغيمات زائدة، ولكن فى النهاية كان غباءًا، واستمر فى كونه غباءًا. تحول وجه لچيلى رول فى تلك اللحظة لوجه من سُرقت منه كل هدايا عيد الميلاد، وصعق نوفيتشينتو بعينين مثل عينى الذئب وجلس مرة أخرى على البيانو. وأنطلق فى عزف موسيقا بلوز كان يمكن أن تبكى حتى ميكانيكى ألمانى، كان يبدو أن كل محصول القطن لكل زنوج العالم هناك وكان هو يحصده بتلك النغمات، شيء يطلق عنان الروح. قام كل الجالسين ووقفوا؛ مسحوا أنفهم وأخذوا فى التصفيق. لم ينحن چيلى رول لهم، لم يفعل أى شيء، وكان واضحًا أن لديه الكثير من الشكوك حول حقيقة تلك القصة.

وجاء دور نوفيتشينتو من جديد، وبدأ بداية سيئة بالفعل لأنه جلس أمام البيانو وعيناه مليئتان بالدموع بسبب مقطوعة البلوز، كان متأثرًا، وهذا يمكن فهمه، ولكن الشيء الغريب حقًا إنه مع كل تلك الموسيقا الموجودة فى رأسه وفى يديه، ماذا خطر بباله أن يعزف؟ معزوفة البلوز التى سمعها لتوه. قال لى فيما بعد، فى اليوم التالى ليرر تصرفه هذا "كانت رائعة". لم تكن لديه أدنى فكرة عن معنى المبارزة. عزف مقطوعة البلوز تلك، والأكثر من ذلك فقد تحولت المقطوعة إلى مجموعة من النغمات المتوافقة غاية فى البطء، الواحدة تلو الأخرى فى تتابع، كانت رتابة قاتلة. كان يعزف وهو ملتصق بالمفاتيح، كان يستمتع بكل من تلك النغمات الغريبة، بل كان شيئًا غير ممتع إلا أنه كان يستمتع بكل ذلك. أما الأخرون فلم يستمتعوا بشيء. وعندما انتهى لم تطلق صفارة واحدة لتحيته وعند تلك اللحظة نفذ صبر چيلى مورتون نهائيًا. وبدلاً من الذهاب بهدوء إلى البيانو قفز فوقه.

وهمس ببعض الكلمات بينه وبين نفسه بطريقة فهمها الجميع جيدًا : " فلتذهب إذن إلى الجحيم أيها الغبى".

ثم بدأ هجوم العزف، ولكن كلمة العزف ليست الكلمة المناسبة، بل بدأ فى اللعب، أو فى أدائه الأكروباتى، فلقد صنع كل مايمكن صنعه بلوحة بيانو بها ٨٨ مفتاحًا، بسرعة وحشية، دون أن يخطىء فى نغمة واحدة ودون أن يحرك عضلة فى وجهه. لم تكن حتى موسيقا؛ كانت ألعاب مهارة، سحر جميل ورائع. كانت أعجوبة، لم يكن هناك قديسين، ولكن كانت أعجوبة، وجن جنون المتفرجون، أخذوا يهتفون ويصفقون، فلم يروا شيئًا كهذا من قبل، كانت هناك ضوضاء عظيمة حتى بدا أننا فى ليلة رأس السنة. ووسط هذه الضوضاء وجدت نفسى أمام نوفيتشينتو؛ كان وجهه أكثر وجه محبط فى العالم، وعليه بعض علامات الدهشة. نظر لى وقال:

" ولكنه قمة فى الغباء... "

لم أجبه، ولم يكن لدى شىء لأقوله. انحنى نحوى وقال لى :

" اعطنى سيجارة، هيا... "

كنت غاية فى الدهشة فتناولتها وأعطيته إياها. أقصد بذلك أن نوفيتشينتو لم يكن يدخن. ولم يكن قد سبق له التدخين. أخذ السيجارة واستدار وذهب ليجلس أمام البيانو. استغرق الجمهور بعض الوقت ليفهم أنه قد جلس وأنه ربما يريد العزف، وانطلقت بعض النكات السخيفة والضحكات، وبعض الصفارات، إن الجمهور هكذا، يكون شريرًا مع الخاسرين. انتظر نوفيتشينتو بصبر حتى ساد الهدوء، ثم نظر إلى چيلى رول، الذى كان يقف أمام البار ويشرب كأسًا من الشامبانيا وقال بصوت منخفض : "لقد أردت أنت ذلك، ياعازف البيانو المتعفن." ثم وضع سيجارتى على حافة البيانو مطفأة وبدأ.

(وتنطلق على مسمع الجمهور مقطوعة من البراعة الفنية الجنونية

وكأنه يعزف بأربع أيدى. لم يستمر سوى نصف دقيقة، وانتهى بشحنة من التناغمات القوية جدًا. انتظر الممثل حتى انتهى كل ذلك، ثم بدأ مرة أخرى).

وهكذا ابتلع الجمهور ذلك كله دون أن يتنفس، وهو ممسك بأنفاسه، وأعين الجميع مسمرة على البيانو وبفم مفتوح كأنهم أغبياء بالفعل.

ومكثوا هكذا فى هدوء مذهولين تمامًا، حتى بعد تلك الشحنة النهائية القاتلة من النغمات المتوافقة التى بدأ فيها وكأن له مئة يد، وكان يبدو أن البيانو يجب أن ينفجر بين لحظة وأخرى. وفى هذا الصمت الجنونى، نهض نوفيتشينتو، وأخذ سيجارتى، وانحنى قليلاً للأمام، وابتعد عن لوحة البيانو، واقترب بالسيجارة من أوتار البيانو، وحركها بخفة فوقها، وأخرجها من هناك وكانت مشتعلة، أقسم بذلك، مشتعلة بالفعل. أمسكها نوفيتشينتو بيده وكأنها شمعة صغيرة. فلم يكن يدخن، ولم يكن يعرف كيف يمسك بالسيجارة بين إصبعيه، تقدم بضعة خطوات حتى أصبح فى مواجهة چيلى رول مورتون، وأعطاه السيجارة وقال : « دخنها أنت، فأنا لا أجيد هذا ».

وعندئذ استيقظ الجمهور من مفعول السحر، وشرع يحتفل بالصرخات والتصفيق الحاد والضوضاء ولا أعلم ولكنى لم أر قط شيئًا من هذا النوع، كان الجميع يصرخون، وكان الجميع يريدون لمس نوفيتشينتو، فوضى عامة، لم يكن بالإمكان فهم أى شىء. ولكنى رأيته، هناك فى الوسط، رأيت چيلى رول مورتون، وهو يدخن بعصبية تلك السيجارة اللعينة، محاولاً البحث عن وسيلة يتصرف بها، بلافائدة، لم يكن يعرف حتى أين ينظر، وعند لحظة معينة بدأت يدا الفراشة ترتعش، نعم ترتعش، رأيتها بنفسى ولن أنسى هذا أبدًا.

كانت ترتعش كثيرًا إلى حد أن رماد السيجارة انفصل وسقط، سقط أولاً فوق بدلته السوداء ثم تزحلق حتى وصل إلى حذائه الأيمن، الحذاء ذى الورنيش الأسود اللامع، كان ذلك الرماد مثل رش أبيض، نظر إليه، أتذكر ذلك جيدًا، نظر إلى حذائه،إلى الورنيش والرماد وفهم، فهم مايجب عليه فهمه، دار حول نفسه وهو يسير ببطء خطوة تلو الخطوة، ببطء شديد حتى لايحرك ذلك الرماد من مكانه، عبر الصالة الكبيرة واختفى، بحذائه ذى الورنيش الأسود، وعلى إحدى فردتيه رش أبيض، وهو يبتعد به، وعليه كُتب أن شخصًا ما فاز، ولم يكن هو ذلك الشخص.

قضى چيلى رول مورتون باقى رحلته فى كابينته. وبمجرد وصولنا إلى ساوثامبتون، ترك الفرچينيان. لكنه عاد فى اليوم التالى إلى أمريكا على متن سفينة أخرى، لم يكن يريد أن يعرف أى شىء آخر عن نوفيتشينتو أو عما يلى ذلك. كان يريد أن يعود وحسب.

ومن جسر الدرجة الثالثة، وهو يستند على السور، رآه نوفيتشينتو يهبط من السفينة وهو يرتدى بدلته البيضاء، وكل حقائبه الجميلة ذات اللون الجلدى الفاتح. وأتذكر أنه قال فقط : تبًا للچاز أيضًا.

ليڤربول نيويورك ليڤربول ريودى جانيرو. بوسطن كورك لشبونة سانتياجو دى شيلى ريو دى جابيزو انيلى نيويورك ليڤربول بوسطن ليڤربول هبمبورج نيويورك هبمبورج نيويورك چينيف فلوريدا رودى جانيرو فلوريدا نيويورك چينيف لشبونة ريو دى چانيرو ليڤربول نيويورك كورك بوسطن ليڤربول ريودى چانيرو نيويورك ليڤربول سانتياجو ويل شيلى نيويورك ليڤربول والمحيط دائمًا فى الوسط. وهناك وفى تلك اللحظة تسقط اللوحة.

٥٥٢

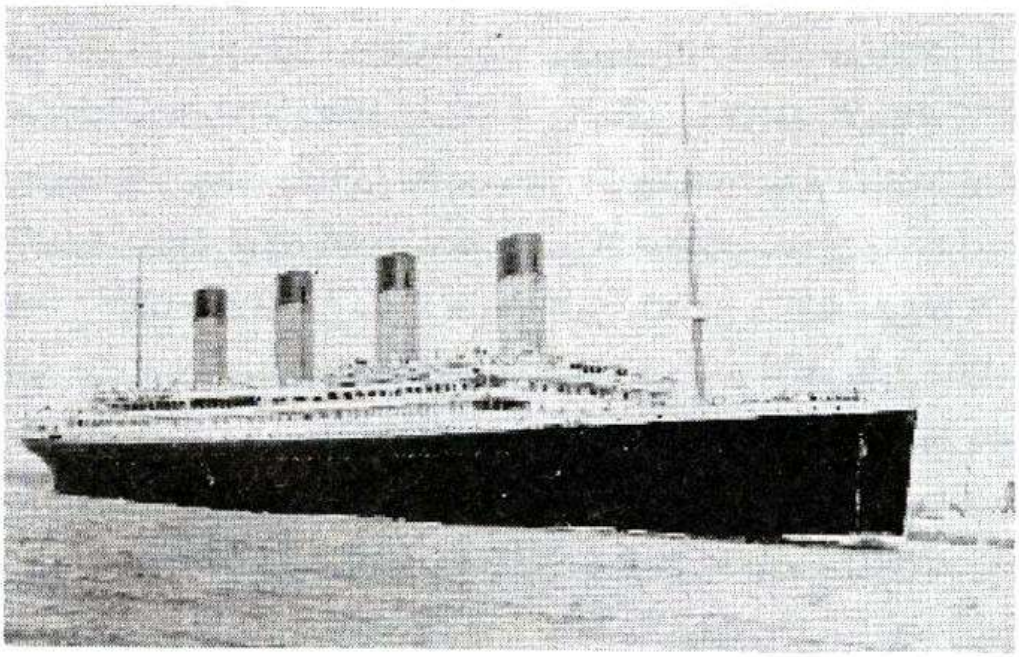

تايتانيك

طالما أدهشنى أمر هذه اللوحات، فهى تمكث فى أماكنها لسنوات، دون أن يحدث أى شىء، أقول أى شىء، **طراخ**، تسقط إلى أسفل. تمكث هناك معلقة فى المسامير، ولا أحد يمسها، ولكنها هى فى لحظة معينة - **طراخ** - تسقط أرضًا مثل الحجارة.

فى لحظة صمت مطلق، بينما كل شىء ساكن حولها، ولاتوجد حتى ذبابة تطير فى الجو، وهى **طراخ**، ودون أى سبب.لماذا فى تلك اللحظة بالذات ؟ لا أحد يعلم. **طراخ**. ماذا يحدث للمسمار ويجعله يقرر أنه لن يتحمل أكثر من ذلك ؟ هل له هو الآخر روح، ذلك المسكين ؟ هل يقوم باتخاذ قرارات؟ لقد تناقش فى الأمر طويلاً مع اللوحة، لم يكونا متأكدين مما يجب عمله، كما يحدثان فى ذلك كل الأمسيات، منذ سنوات، ثم حددا معًا التاريخ والساعة والدقيقة والثانية، ذلك حدث، **طراخ**. أم كان الاثنان يعرفان معًا منذ البداية، كان كل شىء مدبرًا منذ البداية، فليكن فى حساباتك سأترك كل شىء خلال سبع

سنوات، بالنسبة لى لامانع، جسنًا فلنتفق على تاريخ الثالث عشر من مايو، حسنا، حوالى الساعة السادسة، السادسة إلا ربع، حسنًا إذن طابت ليلتك، طابت ليلتك. وبعد ذلك بسبعة أعوام، فى الثالث عشر من مايو، فى تمام السادسة إلا ربع، **طراخ** ولا أحد يفهم شيئًا. فإن هذا مثل تلك الأشياء التى من الأفضل ألا تفهمها وإلا سيصيبنا الجنون؛ عندما تسقط لوحة، أو عندما تستيقظ فى الصباح وأنت لاتشعر بأنك تحبها، وعندما تفتح الجريدة وتجد أن الحرب قد اندلعت. عندما ترى قطارًا وتفكر وتقول يجب أن أرحل من هنا، عندما تنظر إلى المرآة وتدرك أنك مسن، أو عندما - فى قلب المحيط - يرفع نوفيتشينتو عينيه عن صحنه ويقول لى : « بعد ثلاثة أيام، عندما نصل إلى نيويورك سأنزل من هذه السفينة».

لم أتحرك، وبقيت مذهولاً.

طراخ

بالطبع لا عليك أن تسأل اللوحة أى شىء، ولكن يمكنك ذلك مع نوفيتشينتو. تركته فى سلام قليلاً ثم بدأت فى استنزافه بالأسئلة. كنت أريد أن أفهم السبب، فلابد أن هناك سياقًا، فلا يمكن أن يمكث أحد لمدة اثنين وثلاثين عامًا على سفينة ثم فجأة فى أحد الأيام ينزل منها، وكأن شيئًا لم يكن، دون أن يبوح بالسبب ولوحتى لأحد أصدقائه.

قال لى : " أريد أن أرى شيئا ما هناك بأسفل ".

"ما هذا الشئ ؟" لم يكن يرغب فى الإفصاح عنه، ويمكن أن تفهم أسبابه لأنه فى النهاية عندما تحدث كان ما قاله هو :

-"البحر".

-"البحر؟".

-" أجل البحر".

فلتتخيلوا الموقف، كان من الممكن أن أفكر فى أى شئ إلا هذا. لم أكن أريد أن أصدق، كنت أشك فى أنها خدعة، لم أكن أريد أن أصدقه فقد كان ذلك أكثر ما سمعت حماقة.

-" نوفيتشينتو، إنك ترى البحر منذ اثنين وثلاثين عاماً". يا إلهى، بدا لى وأننى أتحدث مع طفل صغير حسنًا، انتظر حتى نصل للميناء ثم اخرج جسمك وستراه جيدًا، الأمر سيان.

- ليس الأمر سيان.

- من قال لك هذا ؟

كان من قاله شخص يدعى باستر، لين باستر، فلاح، أحد أولئك الذين عاشوا أربعين عامًا مثل البغال، وكل ما رآه كان حقله، ومرة أو مرتين شاهد المدينة الكبيرة التى تبعد بعض الأميال عن حقله، وذلك فى أيام المعرض، إلا أن ماحدث له بعد ذلك أن تسبب الجفاف فى أن ينتزع منه كل شىء، وهربت زوجته مع أحد الواعظين، ومات ولداه من الحمى، شخص يلاحقه مصيره... وهكذا فى أحد الأيام أخذ ماتبقى له وقطع انجلترا كلها سيرًا على الأقدام حتى وصل إلى لندن. لكن ونظرًا لأنه لم يكن يفهم كثيرًا فى الطرق، بدلاً من أن يصل إلى لندن وصل إلى إحدى القرى التافهة، «*ولكن هناك إذا استمر فى السير ومر بمنحنيين، ودار حول إحدى الهضاب سيرى فجأة فى النهاية البحر*». ولم يكن قد رآه على الإطلاق فى حياته. فصعق، لقد أنقذه لأنه أراد أن يؤمن بما كان يقوله. وكان يقول إنه مثل صرخة مارد يصرخ ويصرخ ويقول : أيها الأغبياء، إن الحياة شىء لا حدود له، أتفهمون ذلك أم لا ؟

ولم يكن لين باستر قد فكر فى هذا من قبل مطلقًا، بالفعل لم يكن قد حدث له أن فكر فى هذا، وكان هذا مثل الثورة التى حدثت فى رأسه.

ربما أيضًا نوفيتشينتو، لم يخطر على باله بالفعل هذا الشىء من قبل، أن الحياة شىء لا حدود له، ربما كان يشك فى ذلك، ولكن لم يصرخ أحد فى وجهه بهذه الطريقة وهكذا جعل باستر يقص عليه قصة البحر وما تلاها ألف مرة، وفى النهاية قرر أن عليه هو الآخر أن يجرب. وعندما أخذ يشرح لى ذلك، بدا كشخص يشرح لك

كيف يعمل الموتور بالانفجار؛ كان عمليًا.

"يمكننى أن أمكث هنا سنوات أخرى، فوق السفينة، ولكن البحر لن يقول شيئًا على الإطلاق. الآن سأنزل، وأعيش على الأرض، وبعد سنوات سأصبح شخصًا عاديًا، ثم يومًا ما أرحل، وأصل إلى أى شاطىء، وأرفع عينىَّ وأنظر إلى البحر، وهناك سأستمع إليه يصرخ.

علميًا.... بدا لى أكبر أحمق فى القرن كله، كان يمكننى أن أصارحه بذلك، لكننى لم أقل شيئًا. لم يكن الأمر هينًا،الواقع أننى كنت أحب نوفيتشينتو جدًا وكنت أريده أن ينزل إلى الأرض يومًا ما، من هذه السفينة، وأن يعزف لمن عليها، ويتزوج من امرأة لطيفة وينجب أطفالاً، أى كل الأشياء التى تحدث فى الحياة، التى ربما لا تكون غير محدودة، ولكنها أيضًا جميلة، إذا كان لديك فقط بعض من الحظ ومن الرغبة. بدت لى قصة البحر هذه قصة تافهة، ولكن إذا كانت ستنجح فى أن تنزل نوفيتشينتو من على السفينة كان هذا يناسبنى. وهكذا فكرت فى النهاية أن الوضع بهذه الطريقة أفضل، قلت له إنه لاغبار على أسلوب تفكيره، إننى بالفعل مسرور لذلك، إننى سوف أهدى له معطفى المصنوع من جلد الجمل، فسيبدو حسن المظهر جدًا وهو يهبط تلك الدرجات وهو يرتدى هذا المعطف. شعر هو ببعض التأثر وقال : "ولكنك ستأتى لزيارتى أليس كذلك؛؟، على الأرض...."

يا إلهى، شعرت وكأن هناك شيئًا يقف فى حلقى، سيقتلنى إذا فعل بى هذا، أنا أكره الوداع، وأخذت أضحك بأفضل الطرق الممكنة، فلقد كان شيئًا مؤلمًا، وقلت له إننى سأذهب لزيارته وأننا سنجعل كلبه يجرى فى الحقول سويًا، وستطهو لنا زوجته الديك الرمى، ولا أدرى أى حماقات أخرى، وكان هو يضحك، وأنا أيضًا، ولكن فى الأعماق كان كل منا يعرف أن الحقيقة شيئًا مختلفًا تمام الاختلاف، الحقيقة

أن كل شيء على وشك أن ينتهى، ولم يكن هناك شيىء يمكننا أن نفعله، كان يجب أن يحدث ذلك وهاهو يحدث الآن : دانى بودمان ت.د ليمون نوفيتشينتو سيترك الشيرچينيان،فى ميناء نيويورك، أحد أيام شهر فبراير. بعد اثنين وثلاثين عامًا قضاها فى البحر، وسينزل إلى الأرض، ليرى البحر..

(تنطلق موسيقا مثل موسيقا الرقص القديم، يختفى الممثل فى الظلام، ثم يعود للظهور فى ملابس نوفيتشينتو على قمة سلم سفينة وهو يرتدى معطف جلد جمل، وقبعة ويمسك بحقيبة كبيرة. يقف هناك لفترة، أمام الرياح، ساكنًا وهو ينظر أمامه. ينظر إلى نيويورك، ثم يهبط أول درجة، ثم الثانية، ثم الثالثة. وهنا تتوقف الموسيقا فجأة ويستمر نوفيتشينتو. ينزع الممثل قبعته ويلتفت للجمهور).

توقف فجأة على الدرجة الثالثة.

" ماذا حدث ؟ هل دهس برازًا آدميًا ؟"

قال له هذا نيل أوكنر، كان أيرلنديًا لا يفقه شيء، ولكن لم يكن هناك شيء يمكن أن يغير مزاجه ومزاحه المستمر.

- قلت أنا " ربما نسى شيئًا ما ؟"
- ماذا ؟
- كيف يمكننى أن أعرف....
- ربما نسى لماذا ينزل من السفينة....
- لاتنطق بحماقات..

وكل هذا وهو هناك قدم فوق الدرجة الثانية وقدم فوق الدرجة الثالثة. وكأنها هناك لحظة أبدية، كان ينظر أمامه، كان يبدو وكأنه يبحث عن شيء ما، وفى النهاية فعل شيئًا عجيبًا. نزع قبعته، وتركها لتسقط أرضًا، كانت تبدو كطير منهك، أو

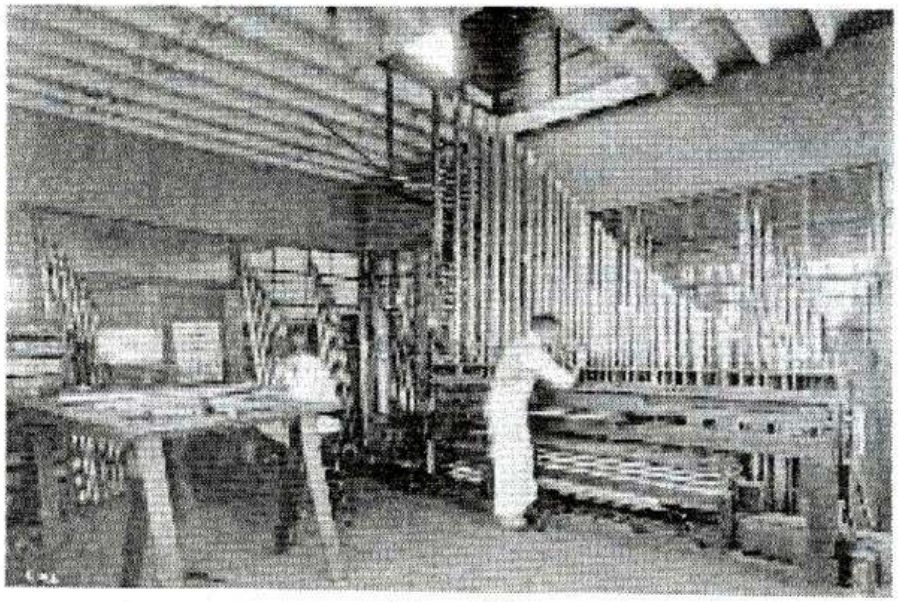

كاليفورنيا

كلحمة مقلية زرقاء بجناحين، رسمت بعض المنحنيات فى الهواء ثم سقطت فى البحر وأخذت تطفو. من الواضح أنها كانت طائرًا وليس لحمة مقلية. وعندما رفعنا أعيننا مرة أخرى تجاه السلم رأينا نوفيتشينتو وهو يرتدى معطفه المصنوع من جلد الجمل، بل معطفى، يصعد من جديد الدرجتين وهو يعطى ظهره للعالم بابتسامة عجيبة تعلو وجهه. خطوتان واختفى بداخل السفينة.

وقال نيل أوكنر : "هل رأيت؟ لقد حضر عازف البيانو الجديد ".

قلت : ويقولون إنه الأعظم ولم أكن أعرف إن كنت حزينًا أم سعيدًا إلى حد الجنون.

ماذا رأى عندما كان يقف على الدرجة الثالثة، لم يرغب فى الإفصاح عن ذلك اليوم ثم فى الرحلتين اللتين قمنا بهما فيما بعد أصبح نوفيتشينتو غريبًا إلى حد ما، كان يتحدث أقل من المعتاد، وكان يبدو مهمومًا جدًا بأمر شخصى. نحن لم نسأله عن شىء، وهو تظاهر بأنه لايوجد أى شىء. ولكن يمكننا رؤية أن هناك شيئًا غير طبيعى، ولكن لم نستطع أن نسأله أى

شيء. واستمر الحال هكذا لبضعة أشهر، ثم في أحد الأيام دخل نوفيتشينتو إلى كابينتي، وببطء ولكن دون أن يتوقف قال لي : "أشكرك على معطفك، كان يناسبني جدًا، خسارة كان يمكنني أن أظهر بمظهر لائق، ولكن الآن كل شيء على مايرام، أفضل بكثير، لقد انتهى كل شيء، لايجب أن تعتقد أنني حزين؛ ولن أكون حزينًا بعد ذلك أبدًا ».

بالنسبة لي لم أكن حتى متأكدًا أنه كان يومًا ما حزينًا، فلم يكن ذلك النوع من الأشخاص الذين تتساءل إن كانوا سعداء أم لا. كان نوفيتشينتو وحسب، لم يكن يخطر ببالك إن كان الأمر يتعلق بالسعادة أم بالألم، كان يبدو فوق كل شيء، كان يبدو شخصًا لايمس، هو وموسيقاه، وليس لأي شيء آخر أهمية.

شعرت بالدهشة بعدما قال «لايجب أن تعتقد أنني حزين، ولن أكون حزينًا بعد ذلك أبدًا ". فقد كان يبدو جادًا جدًا عندما قالها. شخص يعرف جيدًا. أين هو ذاهب، وماذا سيحدث له. كان مثلما يجلس أمام البيانو ويبدأ في العزف،لم يعترِ يدية أي تردد وكان يبدو أن مفاتيح البيانو تنتظر نغماته تلك منذ الأزل، وأن تلك النغمات أتت خصيصًا لها، فقط لها،كان يبدو أنه يخترع تلك النغمات في اللحظة نفسها، ولكن في مكان ما في رأسه كانت تلك النغمات مكتوبة منذ الأزل.

الآن أعلم أن نوفيتشينتو قرر في ذلك اليوم أن يجلس أمام تلك المفاتيح البيضاء والسوداء وأن يبدأ في عزف موسيقا عجيبة وعبقرية، معقدة ولكن جميلة، أعظم موسيقا على الإطلاق. وإنه على نغمات تلك الموسيقا سيرقص أعوامه الباقية، وإنه لن يشعر بالتعاسة مطلقًا.

تركت أنا الفرجينيان في ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٣، وكنت قد

صعدت إليها قبل ذلك بستة أعوام، ولكن بدا لى أن حياة بأكملها قد مرت ولم أنزل لمدة يوم أو أسبوع، تركتها إلى الأبد، تركتها ومعى أوراق النزول إلى البر، والأجر المتأخر، وكل شىء، كان شيئًا قانونيًا، وانتهى أمرى مع المحيط.

لم يكن ذلك بسبب أن تلك الحياة لم تكن تعجبنى، كانت طريقة غريبة لكسب العيش، ولكنها صالحة، ولكنى عجزت عن التفكير فى إمكانية الاستمرار فى هذه الحياة إلى الأبد. إذا كنت بحارًا لكان الأمر مختلفًا، فالبحر هو مكانه، ويمكنه أن يمكث فيه حتى ينفجر، ولكن عازف ترومبيت... إذا كنت تعزف الترومبيت فأنت غريب فى البحر وستبقى غريبًا إلى الأبد. وإن آجلاً أم عاجلاً سيكون عليك العودة إلى منزلك، وقد قلت" لنفسى من الأفضل عاجلاً ".

قلت لنوفيتشينتو " من الأفضل عاجلاً "، وفهمنى. كان واضحًا أنه لم يكن يرغب فى أن يرانى أنزل تلك الدرجات، ولكنه لم يقل لى هذا مطلقًا، وكان هذا أفضل، وفى الليلة الأخيرة كنا هناك نعزف لأغنياء الدرجة الأولى المعتادين، وأتت لحظة عزفى المنفرد، وبدأت فى العزف، وبعد القليل من النغمات سمعت البيانو يصحبنى، بصوت منخفض، عذب، ولكنه كان يعزف معى.

وظللتا تعزف سويًا، وعزفت بأفضل مالدى، يا إلهى، لم أكن بالطبع لويس أرلسترونج، ولكنى عزفت جيدًا بالفعل، وكان نوفيتشينتو خلفى يتبعنى فى كل حركة، وكان جيدًا فى ذلك، وتركنا الفرصة للمرة الأخيرة، ليقول كل منا الأشياء التى لايمكن قولها بالكلمات. وحولنا استمر الجمهور فى الرقص، ولم ينتبه لأى شىء، ولم يكن بإمكانه إدراك أى شىء، ماذا كان يمكن للجمهور أن يعرف، استمروا فى الرقص وكأن لاشىء يحدث. ربما قال

أحدهم للآخر : " انظر ذلك الذى يعزف الترومبيت، إنه غريب الأطوار، ربما يكون مخمورًا أو مجنونًا، انظر عازف الترومبيت إنه يبكى وهو يعزف.

كيف سارت الأمور فيما بعد، عندما تركت السفينة، تلك قصة أخرى. ربما كان بإمكانى انجاز شىء حسن إذا لم تظهر تلك الحرب الملعونة هى أيضًا. فالحرب كانت الشىء الذى عرقل كل شىء، ولم يعد أحد يفهم أى شىء، كان يلزم أن يكون للمرء عقل كبير ليدرك مايحدث. كان يجب أن يكون لدى الشخص إمكانات لم تكن لديه. كنت أعرف عزف الترومبيت ويالها من مفاجأة عندما اكتشفت جدوى عزف الترومبيت عندما تكون الحرب حولك، وفوقك ولا تتركك.

على كل حال لم أعرف شيئًا عن الفرچينيان وعن نوفيتشينتو لأعوام طويلة. ليس لأننى نسيت كل شىء، فلقد استمريت فى التفكير فيهما بل وتذكرهما دائمًا، بل كان يحدث لى أن أتساءل: "من يدرى ماذا كان سيفعل نوفيتشينتو إذا كان هنا، من يدرى ماذا كان سيقول. "كان سيقول : "تبًا للحرب"، ولكن إذا قلتها أنا فهى مختلفة. كانت الأمور تسير بصورة سيئة جدًا حتى إننى من حين لآخر كنت أغمض عينىّ وأعود إلى هناك فوق، إلى الدرجة الثالثة لاستمع إلى المهاجرين الذين يغنون الأوبرا ونوفيتشينتو الذى يعزف موسيقاها، ويداه لايتبقى سواهما لانقاذك، ولا شىء آخر، إنها إحدى حيل الفقراء ولكنها دائمًا حيلة ناجحة.

على كل، لقد انتهت هذه القصة تمامًا... أو يبدو أنها انتهت، ثم فى أحد الأيام وصلتنى رسالة، كتبها لى نيل أوكنر، ذلك الأيرلندى الذى كان يمزح باستمرار · ولكن هذه المرة كان

خطابا جادا ٠ كتب فيه أن الفرچينيان تحطمت تماما بسبب الحرب، وأنهم استخدموها كمستشفى متنقل، ثم ساءت أحوالها فى النهاية حتى إنهم قرروا أن يرسلوا بها إلى الأعماق وأنهم أنزلوا فى بليماوث القلة الباقية من طاقم السفينة، وملأوا السفينة بالديناميت، وسيذهبون بها إلى مكان متسع ليفجروها (بوم)، ثم كتب ملحوظة قال فيها : (هل معك مئة دولار أقسم أننى سأعيدها)٠ وتحتها ملحوظه أخرى تقول : (نوفيتشينتو لم يترك السفينة)٠

أخذت أقلب الخطاب فى يدى لأيام، ثم أخذت القطار المتجه إلى بليماوث وذهبت الى الميناء بحثًا عن الفرچينيات، ووجدتها، أعطيت بعض النقود للحراس الواقفين هناك، صعدت فوق السفينة بحثت فيها من قمتها إلى أعماقها، ثم نزلت إلى غرفة الآلات وجلست فوق صندوق كان يبدو أنه ملىء بالديناميت، نزعت قبعتى، وضعتها على الأرض، ومكثت هناك فى صمت دون أن أعرف ماذا أقول / ٠٠٠٠ ثابتا فى مكانى أنظر إليه، ثابتًا فى مكانه ينظر إلى / وكان الديناميت أسفله هو أيضا، كان الديناميت فى كل مكان / دانى بودملن ت٠د ليمون نوفيتشينتو / كنت ستقول إنك كنت تعرف بأننى سآتى كما عرفت دائما النغمات التى ستعزفها و٠٠٠/

بذلك الوجه الذى شاخ، ولكن بطريقة جميلة، دون تعب / لا يوجد ضوء على السفينة، فقط خطوط رفيعة تأتى من الخارج، من يدرى فى الليل كيف تكون/

يدان بيضاوان، سترة مغلقة جيدًا، والحذاء يلمع / لم ينزل /

فى الظل بدا وكأنه أمير /

لم يترك السفينة، سيتفجر مع كل شئ آخر وسط البحر /

نهاية عظيمة، والجميع ينظرون من الصيف ومن الشاطئ، الأضواء الصناعية، الوداع، سيسدل الستار، دخان ونيران وموجة ضخمة فى النهاية /

دانى بودمان ت٠د ليمون/ نوفيتشينتو/

فى تلك السفينة التى ابتلعها الظلام، كانت الذكرى الأخيره له هى صوت، تقريبا صوت فقط، يتحدث بصعوبة /

/

(يتحول الممثل إلى نوفيتشتنو)

/

كل هذه المدينة ٠٠٠٠ ولا يمكن رؤية النهاية ٠٠٠/

النهاية من فضلكم، هل يمكننا رؤيه النهاية ؟ /والضوضاء /

فوق تلك الدرجة ٠٠٠كان كل شىء جميلاً،٠٠٠ كنت عظيما وأنا أرتدى ذلك المعطف، كنت أبدو أنيقا جدًا، مما لا شك فيه كان نزولى مضمونا، لم تكن هناك مشاكل / بقبعتى الزرقاء/

الدرجة الأولى، ثم الثانية،ثم الثالثة/

الدرجة الأولى،ثم الثانية،ثم الثالثة/

الدرجة الأولى، الثانية/

ليس ما رأيته هو ما أوقفنى /

بل ما لم آره /

هل يمكنك فهم ذلك يا أخى ؟ إنه ذلك الذى لا أراه،٠٠٠ بحثت عنه ولم أجده، فى تلك المدينة المترامية الأطراف، كان هناك كل شئ ما عدا/

كان هناك كل شئ /

ولكن هناك نهاية ٠ الشئ الذى لم أره، أين ينتهى كل هذا ٠ نهايه العالم/

فكر الآن فى البيانو فالمفاتيح تبدأ وتنتهى، أنت تعلم أنها ثمانية وعشاتون مفتاحًا، لا يمكن لأحد أن يخدعك، إنها ليست لانهائية، أنت لا نهائى، وهذا يعجبنى، هذا يمكننى أن أعيشه/ ولكنك إذا / ولكننى إذا صعدت على تلك الدرجات وأمامى /

ولكننى إذا صعدت على تلك الدرجات وأمامى أرى لوحة مفاتيح فى مليون مفتاح، ملايين وملايين /

ملايين ومليارات من المفاتيح التى لا تنتهى أبدا، وهذه هى الحقيقة الواقعة، لا تنتهى أبدًا، ولوحة المفاتيح تلك لا نهائية / إذن، إذا كانت لوحة المفاتيح تلك لا نهائية / فعلى تلك اللوحة لا توجد موسيقا يمكنك عزفها، فلقد جلست على الكرسى الخاطىء، فأمام هذا البيانو يمكن فقط للإله أن يعزف / يا إلهى، هل رأيت الشوارع إن الشوارع فقط بالآلاف، كيف تستطيعون على الأرض أن تختاروا شارعًا ما/

أن تختاروا امرأة/

منزل، أرض لتكون لكم، منظر طبيعى لتشاهدوه، طريقة معينة تموتون بها /كل هذا العالم/

ذلك العالم الذى لا تعرف حتى أين ينتهى / وكم من الأشياء موجودة /

ألا تشعرون بالخوف، بأن تنتهوا ممزقين ألف قطعة، بمجرد التفكير فى تلك الفخامة، مجرد التفكير فيها ؟

لا لأن تعيشها /

لقد ولدت على هذه السفينة٠ وهنا يمر العلم ولكن بألفى شخص فى كل مرة٠ وهنا أيضا توجد أمنيات ولكنها ليست أكثر من تلك الموجودة بين مقدمة السفينة ومؤخرتها ٠ كنت تعزف سعادتك على لوحه مفاتيح محدودة لقد تعلمت هكذا، إن الأرض هى السفينة الأكبر من اللازم بالنسبة لى ٠ إنها حياة أطول من اللازم، إنها امرأة أجمل

من اللازم، إنه عطر أقوى من اللازم ٠ إنها موسيقا لا يمكننى عزفها سامحونى، ولكننى لن أنزل، دعونى أعود أدراجى٠

من فضلكم/

والآن حاول أن تفهم يا أخى٠ حاول أن تفهم إذا استطعت / كل هذا العالم فى عينى / رهيب لكن جميل / أجمل من أن احتمله / إنه الخوف الذى دفعنى إلى الوراء / إلى السفينة من جديد، وإلى الأبد إلى تلك / السفينة الصغيرة/

ذلك العالم فى عينى، فى كل الليالى من جديد /أشباح / إذا تركت نفسك لها ستموت / الرغبة فى النزول /والخوف من تنفيذ ذلك/ هكذا سيصيبك الجنون / ستجن/ كان يجب عمل شئ ما، وفعلته/ فى البداية تخيلته ثم نفذته / كل يوم لمدة أعوام/ اثنى عشر عاما / مليارات من اللحظات / حركة غير مرئية وبطيئة جدًا أنا، من لم تكن لديه القدرة على النزول من تلك السفينة، نزلت من حياتى لأنقذ نفسى، درجة تلو الدرجة، وكل درجة كانت عبارة عن أمنية وفى كل خطوة كنت أودع أمنية٠

لست مجنونا يا أخى، لسنا بمجانين إذا استطعنا العثور على طريقة ما ننقذ بها أنفسنا، فنحن خبثاء كالحيونات الجائعة، ليس للجنون دخل، إنها عبقرية، إنها هندسة، إنه الكمال٠

لقد كانت الأمانى على وشك أن تنزع روحى، كان يمكننى أن أحياها ولكننى لم أنجح فى ذلك، لذلك فقد سحرتها ٠ وتركتها واحده تلو الأخرى خلفى ٠ هندسة، عمل كامل رائع٠

لقد سحرت كل نساء العالم وأنا أعزف ليلة بأكملها امرأة واحدة، واحدة فقط ذات جلد شفاف، ويدين ليست بهما جوهرة واحدة، وقدمين رقيقتان، كانت تهز رأسها على صوت

موسيقاى، دون أن تبتسم، دون أن تبعد نظرها، مطلقا ، الليلة بأكملها وعندما نهضت لم تكن هى فقط التى خرجت من حياتى بل كل نساء العالم. سحرت الأب الذى لن أكنه مطلقا وأنا أنظر لطفل يموت وأنا أجلس بجانبه أياما عديدة، دون أن أفقد أى شئ من هذا المنظر البشع والجميل كنت أريد أن أكون أخر شئ ينظر إليه فى حياته، وعندما رحل وهو ينظر إلى عينىّ لم يكن هو الذى يرحل بل كل الأبناء الذين لم أنجبهم ٠ لقد سحرت الأرض التى كنت أملكها فى مكان ما فى العالم وأنا استمع لغناء رجل قادم من الشمال، كان يمكنك الاستماع إليه ورؤيته، وأنت تراه كنت ترى الوادى والجبال حوله، والنهر الذى ينحدر ببطء والجليد فى الشتاء، والذئاب فى الليل، وعندما انتهى غناء الرجل انتهت الأرض للأبد، حيثما كانت ٠ لقد سحرت كل الأصدقاء الذين تمنيتهم وانا أعزف لك ومعك فى تلك الليلة، فى وجهك، وفى عينيك رأيتهم كلهم،كل أصدقائى المحبوبين، وعندما رحلت أنت رحلوا كلهم معك ٠

لقد قلت وداعًا للدهشة عندما رأيت جبل الجليد المهول فى الشمال وهو يسقط منهزما من الحرارة، وقلت وداعا للمعجزات عندما رأيت ضحكات الرجال الممزقين من الحرب، وقلت وداعًا للغضب عندما رأيت تلك السفينة وهى تمتلىء بالديناميت، وقلت وداعاً للموسيقا، لموسيقاى، عندما استطعت عزفها كلها فى نغمة واحدة وفى ثانية واحدة قلت وداعا للفرح، ساحرا إياه وأنا آراك قادما إلى هنا ليس جنونا يا أخى، بل هندسة.

إنه عمل فنى، لقد نزعت أسلحة التعاسة، ونسيت أمانى بعيدًا عن حياتى. إذا تمكنت من أن تستعيد

مسيرة حياتى لتمكنت من العثور عليها واحدة تلو الأخرى، مسحورة، بلا حراك، واقفة هناك للأبد تشير إلى الطريق ولتلك الرحلة الغريبة التى لم أقصها لسواك/

/

(يبتعد فوفيتشينتو ويتجه للكواليس)

/

(يتوقف، ويستدير)

إننى أرى المشهد بالفعل، مشهد صعودى إلى أعلى، هناك من يبحث عن اسمى فى القائمة ولا يجده.

- «لقد قلت إنك تدعى ؟»

- «نوفيتشينتو».

- «نوسينزكى، نوتارباتولو، نوفاليس، نوتزا .... »

- «لقد ولدت فوق سفينة ».

- «افندم؟»

- «لقد ولدت على متن سفينة ومت هناك، ولا أدرى ماذا يعنى ذلك لديكم... »

- «غرق؟»

- «لا، انفجار. لستة قنطارات ونصف من الديناميت... بوم»

- «آه، وكل شئ على مايرام الآن ؟»

- «أجل، أجل، على خير حال... لكن... توجد فقط مسألة فقد مسألة الذراع، لقد فقدت ذراعا... ولكنهم أكدوا لى... »

- «ينقصك ذارع ؟»

- نعم، أنت تعرف فى الانفجار....

- لابد وأن هناك زوجا من الأذرع هنا... أيهما ينقصك ؟

- الذراع الأيسر.

- أخشى أن الموجود ذراعين أيمن، أتفهم ؟

- ذراعان أيمنان؟

- وبالفعل فى هذه الحالة ستكون لديك مشاكل ل.... »

- لماذا ؟

- أقصد إذا أخذت ذراع أيمن....»

- أضع الذراع الأيمن مكان الأيسر؟

- نعم

- حسنا... على كل حال... أفضل أن يكون لدى ذرعـــان أيمنان من لا شئ....»

- هذا مـــا أراه أنا أيضـــا، انتظر لحظة، سأذهب لأحضره لك ».

- «إذا مـررت خـلال بضـعـة أيام، ربما يصلك الأيسر... »

- «اسـمع لدى ذراع أبيض والآخـر أسود.... »

- لا أفـضل أن يكون لونى واحـد... لاشئ ضد الزنوج... المسألة فقط....

حظ سئ، ســأعــيش الأبدية فى الفردوس بذرعين أيمنين .

(وبصـــوت أخنف) والآن لنـرسم عـلامـة الصليب ! (يهم بأن يفـعل ذلك ولكنه يتوقف وينظر إلى يديه) لن تعلم أبدا أيهما تستخدم.

(يتـردد لحظة، ثم يرسم عـلامـة الصليب بسرعة بيديه الأثنتين)

الأبدية كلهـا، مـلايين من السنوات سأبدو كـغبى. *(ويعاود فى مـرة أخرى رسم الصليب بيـديه)* جـحـيم فى الفردوس لا شئ يضحك فى هذا.

(يستـدير، ويتـجـه نحـو الكواليس، يتـوقف قـبل أن يخـرج، ويستـدير من جديد ليواجه الجمهور؛ وتلمع عيناه).

ولكن... أتعـرف أى موسـيقـا يمكن أن تعـزف بينمـا لديك يدين يمنتين... إذا كان فقط لدى بيانو....

(يصبح جادا)

إنك تجلس فـوق الديناميت ياأخى، انهض واذهب من هنـا، لقـد انتـهت القصة، هذه المرة انتهت بالفعل.

(ويخرج)